الديوان شرح ودراسة وتحليل

توطئة

يقول محقق الديـوان: هذا الديوان الذى نصـدره اليوم أقدم ما نعـرف مـن دواوين شـاعرات العرب، فصاحبتـه ابنة ذلك العصـر، الـذى اتفق النقاد – ولا زالوا علـى اتفاقهم – على أنه عصر الروعة الشـعرية، والنبع العذب الغزير الذى يحلو للشـعر العربى الرجوع إليه والاستقصاء منه «العصر الجاهلى»[1].

وما وصل إلينا من شعر «خرنق» فى هذا الديوان الذى حققناه وفـى غيره مـن المراجع قليل، ولكنه من صنع واحد من أشـهر العلمـاء القدماء وأوثقهم، فقد قيـل صراحة فى صفحة العنوان: «روايـة أبى عمرو بن العـلاء»، وتردد ذكر كنيتـه «أبى عمرو» مجـردة فى الداخل غير مرة، وقد شـكك بعـض العلماء فى دار الكتب المصرية فى هذا القول، وأعلنوا أن الصحيح أنه من رواية

(١) مقدمـة الديـوان – تحقيـق: د/ حسـين نصـار ص ٨، ٩ – مطبعـة: دار الكتب – ١٩٦٩م.

«أبى عمرو الشيبانى»، ولم يذكر الكاتب علام استدل فى هذا الشك وما تلاه من ترجيح.

وأظن أنه فعل ذلك لاشتهار «ابن العلاء» بالقراءة، و«الشيبانى» برواية الشعر، ولكن ذلك غير قاطع فى المسألة[1]، فقد كان «أبو عمرو بن العلاء» المتوفى فى سنة أربع وخمسين ومائة[2] للهجرة من كبار العلماء بالشعر وخاصة الجاهلى، فقد كان «أبو عمرو بن العلاء» إماما وزعيما لمدرسة البصرة، وقد بلغت عنايته بالشعر الجاهلى مبلغا كبيرا، حتى قال «الأصمعى»: جلست إلى «أبى عمرو» عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت إسلامى، قال: فقال مرة «لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت أن آمر فتياننا بروايته» يعنى شعر «جرير» و«الفرزدق» وأشباههما، وكان «أبو عمرو» أعلم الناس بالغريب والعربية وبالقرآن والشعر وبأيام العرب وأيام الناس[3]، كما كانت عنايته بالكتابة والتدوين لا تقل شأوا عن عنايته بالرواية والحفظ، فقد

---

(١) ذاته.

(٢) مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية: د/ ناصر الدين الأسد ص ٥٥ – ط: دار المعارف بالقاهرة، والشعر الجاهلى بين الرواية والتدوين: للمؤلف ص ١٠٧.

(٣) البيان والتبيين: للجاحظ جـ ١ ص ٣٢١ – تحقيق: عبد السلام هارون – الطبعة الخامسة مكتبة: الخانجى بالقاهرة.

كان يرسل إلى «الحارث بن خالد الشاعر» الغزل أخاه «معاذ بن العلاء» ومعه كتاب فيه مسائل يسأله عنها[1]، وكان كذلك يكتب إلى «عكرمة بن خالد» وهو محدث جليل من التابعين، وهو أخو الشاعر يسأل أخاه[2]، فقال «شعبة بن الحجاج»: كنت أجتمع أنا و«أبو عمرو بن العلاء» عند «أبى نوفل بن أبى عقرب» فأسأل عن الحديث خاصة، ويسأله «أبو عمرو» عن الشعر واللغة خاصة فلا أكتب شيئا عما يسأله عنه «أبو عمرو»، ولا يكتب «أبو عمرو» شيئا عما أسأله أنا عنه[3].

وكأنه بفطرته هدى للتخصص فى هذا الفن مفضلا إياه على ما سواه من الفنون، وبلغ من شغفه بالتدوين أن «الجاحظ» يحدثنا عن ذلك فيقول: أو كانت كتبه التى كتب عن العرب الفصحاء وقد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف، ثم إنه تقرّأ فأحرقها كلها، فلما رجع بعد إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه، وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية[4].

---

(١) الأغانى: للأصفهانى جـ ٣ ص ٣١٢.

(٢) مراتب النحويين: لأبى الطيب اللغوى – ورقة: ٢٤، ومصادر الشعر الجاهلى: د/ نصر الدين الأسد ص ١٥٦.

(٣) المزهر: للسيوطى جـ ٢ ص ٣٠٤.

(٤) البيان والتبيين: للجاحظ جـ ١ ص ٣٢١ – تحقيق: عبد السلام هارون – مكتبة الخانجى – الطبعة الخامسة.

وقد مدحه «الفرزدق» فقال:

ما زلت أفتح أبوابا وأغلقها حتى أتيت «أبا عمرو بن عمار»[1]

وبلغ به العلم بالشعر أن قرأ عليه «الأصمعى» المتوفى سنة ٢١٦هـ ديوان «النابغة الذبيانى»، وديوان «الحطيئة»[2]، وروى عنه ستا من أصمعيّاته[3].

والمطالع لكتاب «طبقات فحول الشعراء فى الجاهلية والإسلام» «لمحمد بن سلام الجمحى»، وأيضا «مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها الفنية» للدكتور «ناصر الدين الأسد» وغيرهما من مصادر الشعر الجاهلى يطمئن كل الاطمئنان إلى الخطأ الذى وقع فيه من قال: إن الصحيح أنه رواية «أبى عمرو الشيبانى»، فقد كان ذلك منه محض شك لم يقم عليه دليل.

والصواب والراجح والذى نؤيده أنه من رواية «أبى عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان»، وهو من رواة الشعر الجاهلى، وأنه أحد القرّاء السبعة للقرآن الكريم، وروايته شهيرة معروفة.

وبالرغم من قلة دوران شعر «خرنق بنت بدر بن هفّان» فى المصادر العربية فإن جماعة من كبار اللغويين والنحاة

---

(١) ذاته.

(٢) الموشح: للمرزبانى ص ٤٢، والمزهر: للسيوطى جـ ٢ ص ٣٥٥.

(٣) الأصمعيات ص ١٦٦، والمختار من الشعر الجاهلى ص ٣٠٥.

والإخباريين عنوا «بخرنق» وبشعرها ورووا طرفا منه وذلك من أمثال «سيبويه»، و«المفضل الضبى»، و«يونس بن حبيب»، و«أبى عبيدة بن معمر بن المثنى»، و«ابن الأعرابى»، و«ابن السّكيت»، و«دعبل الخزاعى»، و«أبى حاتم السّجستانى»، و«عمر بن شبة» و«المبرد»، و«ثعلب».

وبعد هذا التطواف مع الشاعرة «خرنق» نشرع الآن سائلين المولى – عز وجلّ – العون والتوفيق والسداد فى دراسة شعرها، وشرحه، وتحليله لنقدمه إلى عشاق الأدب العربى والدارسين والباحثين.

وقبل أن نخوض فى غمار شرح وتحليل شعر «خرنق» نقول: إن جُلّ شعرها إن لم يكون جميعه جاء منحصرا فى غرضيين أساسيين وهما: الرثاء، والهجاء.

المؤلف

أولا: المراثى

قالت «خرنق» ترثى أخاها حيت قتل:

عددنا له خمسا وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيدا ضخما
فجعنا به لما انتظرنا إيابـــه على خير حين لا وليدا ولا قحما[1]

وفـى «ديـوان طرفة بن العبـد البكرى» وهو أخ غير شـقيق «لخرنق»:

عددنا له ستـــا وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيدا ضخما
فجعنا به لما انتظرنا إيابـــه على خير حين لا وليدا ولا قحما[2]

وفى «جمهرة أشعار العرب للقرشى»:

نعمنا به خمسا وعشرين حِجّة فلما توفاها استوى سيدا ضخما
فجعنا به لما استتم تمامـــه على خير حال لا وليدا ولا قحما[3]

(١) الديـوان – تحقيق: د/ حسـين نصار – مطبعـة: دار الكتب – ١٩٦٩م ص ١٩، ٢٠.

(٢) الديوان – ط: دار صادر – بيروت – لبنان – بدون تاريخ – كرم البسـتانى ص ١٠.

(٣) جمهرة أشـعار العرب: للقرشـى – شـرحه وضبطه وقدم له: الأستاذ/ على فاعـور – ط: دار الكتـب العلمية – بيروت – لبنـان – الطبعة: الأولى – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ص ١٠١.

اللغويات:

إيابه: رجوعه، آب بمعنى: رجع، والأوبة: الرجوع أيضا – الوليد: الصغير، القحم: المسنّ، وقيل: القحم هو: العظيم القدر، وقوله قحما أى: شيخا كبيرا.

الدراسة والتحليل:

تقول الشاعرة «خرنق بنت بدر بن هفّان»[1] ترثى أخاها «طرفة بن العبد البكرى»، وهو شاعر جاهلى من الطبقة الأولى، ولد فى «بادية البحرين»، وتنقل فى بقاع «نجد»، واتصل بالملك «عمرو بن هند» فجعله فى ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى عامله «بالبحرين» يأمره فيه بقتله؛ لأبيات بلغ الملك «عمرو بن هند» أن «طرفة» هجاه بها، فقتله وكان ابن عشرين عاما، وقيل: ابن ست وعشرين.

فهو حين قتل كان فى أول شبابه، وقوته وعنفوانه ومبعة حياته، فقد استوى على أشده، وقد فجع به أهله حين انتظروا أوبته من «البحرين» لتقرّ بذلك أعينهم، لا صغير السن، ولا مسنا كبيرا هرما.

---

(١) وفى خزانة الأدب للبغدادى: وأما «هفّان» فهو اسم مرتجل غير منقول، وهو مشتق من الهفيف، وهو: سرعة السير – «هفّان» بفتح الهاء وتشديد الفاء، الوليد: الصغير، القحم: المسن الكبير – قال – تعالى ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ سورة الشعراء الآية ١٨.

فالشاعرة ترثيه، فتفجعه حزينة على أنه قتل فى شرخ الشباب، حيث كانوا ينتظرون إيابه، ولكن الملك «عمرو بن هند» خيّب ظنهم، وقطع أملهم فى عودته إليهم، وسرورهم به.

وقالت ترثى زوجها «بشر بن عمرو»:

إن بنى الحِصْن استحلت دماؤهم بنو أسد حارِثُها ثم والِبُها
هم جدعوا الأنف الأشمَّ فأوعبوا وجبوا السنام فالتَحَوْه وغَاربه
عُمَيْلةُ بوَّاه السّنان يكَفّه عسى أن تلاقيه من الدَّهر نائبه[1]

وفى «لسان العرب لابن منظور»، وكذلك فى «تاج العروس» للزبيدى يروى البيت الثانى هكذا:

هُمُ جدعوا الأنف الأشمَّ عويصة وجبوا السنام فالتَحَوْه وغَاربه[2]

ولدى «المرزبانى» يروى البيت هكذا:

هُمُ جدعوا الأنف الأشمَّ بهلكة وجبوا السنام فالتَحَوْه وغَاربه[3]

---

(١) الديوان ص ٢٥، ٢٦.

(٢) لسان العرب: لابن منظور – المجلد الرابع – ط: دار المعرفة ص ٣١٧٠ مادة «عوص»، وتاج العروس شرح جواهر القاموس: للزبيدى – المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٦هـ.

ويقول «ابن برىّ»: وعويص الأنف: ما حوله، والأعوص: موضع قريب من المدينة، وعَوْص: اسم قبيلة من «كلب»، والعوصاء: موضع.

(٣) أشعار النساء: للمرزبانى – مخطوط بدار الكتب المصرية.

اللغويات

جدعوا الأنف: قطعوه – الأشم: العالى الشامخ – أوعبوا: استأصلوا – جبوا السنام: قطعوه – التحوه: قشروه عن الظهر – الغارب: بين السنام والعنق ومنه (ألقى الحبل على الغارب) وهو الكاهل ومكانه من البعير معروف – بوّاه السنان: قصده به.

الدراسة والتحليل:

يقول «أبو مرهب الأسدى»: إنما قتل «بشرا» «عميلة ابن المقتبس» أحد «بنى والبة»، وفى تصداق ذلك تقول «خرنق» ترثى زوجها «بشر بن عمرو» الأبيات آنفة الذكر، فتقول «خرنق»: إن هؤلاء القوم استحلوا الدماء، واستباحوا الحرمات، والمراد بهؤلاء هم «بنو الحارث بن أسد»، وحارثها يكون بذلك بدل بعض من كل، فأعملوا فيهم أسيافهم فجدعوا الأنوف وحزّوا ما حولها وقطعوه، وهى أنوف شماء كريمة عالية واستأصلوها، وقطعوا السنام وقشروه عن الظهر وسلخوا الجلد من على الكاهل، وهو ما بين السنام والعنق، وضربت ذلك كله مثلا لقتل زوجها «بشر بن عمرو»، وهى بذلك تصور

بشـــاعة قتله، فأعظم بقتلهم إياه، ثم تمضى الشـــاعرة «خرنق بنـــت بدر» فى رثائها لزوجها فتقول: إن «عميلة بن المقتبس» قصـــده بســـنان رمحه فـــأرداه قتيلا مضرجا فـــى دمائه، ومن تفجعها عليه وحزنها وأســـاها تدعو علـــى قاتله «عميلة» بأن تلاقيـــه وتحل به نائبة من نوائب الدهر تغتاله وتهلكه، وذلك الذى يطيّب خاطرها ويثلج صدرها ويريح فؤادها.

وقالت الشاعرة «خرنق بنت بدر بن هفّان» ترثى «بشرا»:

أعازلتى على رُزْء أفيقـــــى ... فقد أشرقتنى بالعذل ريقـــى
ألا أقسمت آسى بعد «بشـر» ... على حىّ يموت ولا صديـــق
وبعد «بنى ضبيعة» حول بشر ... كما مال الجذوع من الحريـق
فكم بقُلاب من أوصال خـرق ... أخى ثقة وجمجمة فليـــق
ندامى للملـوك إذا لقوهـــم ... حُبُوا وسُقوا بكأسهم الرحيق
هم جدعوا الأنوف وأوعبوها ... فما ينساغ لى من بعد ريـق[1]
وبيض قد قَعَدْن وكُلُّ كُحْـــل ... بأعْيُنِهنّ أصبـحَ لا يَلِيـــقُ
أضاع بضوعهن حُصابُ «بشر» ... وطعنة فاتِكٍ فمتى تفيـــقُ؟[2]

(١) الديوان ص ٢٦، ٢٧، ٢٨.
(٢) ذاته ص ٢٨.

اللغويات:

الآســى: الحزن – يقال: آسيت على الشيء آسى إذا حزنت عليه – ترت: علت – الخِرق بكسر الخاء: الجواد الذى يتخرق بالمعروف ويتسع فيه.

الدراسة والتحليل:

وتمضى الشــاعرة «خرنق بنت بدر بن هفّان» فى رثاء زوجها التى أوقفت جُلّ شعرها على رثائه، والتفجع عليه، فتقول موجهة خطابها وكلامها للعذال الذين يلومونها فى أســاها وحزنها على هذا الــرزء، وتلك المصيبــة الجلل التى حلت بهــا فتقول لها: أفيقى عاذلتى فإنها مصيبة جســيمة تلــك التى منيت بها، فقد شرق ريقى بعذلك لى، ولومك إيّاى، فقد آليت وأقسمت وحلفت ألا أحزن بعد «بشر» على أحد يموت، قريبا كان أو صديقا. وفى «خزانة البغدادى» يروى البيت:

لا وأبيك أسى بعد «بشــــر» على حىّ يموت ولا صديق[1]
وبعد الخير «علقمة بن بشر» إذا ما الموت كان لدى الحلوق

(١) خزانة الأدب للبغدادى – تحقيق وشــرح: عبد الســلام هارون – ط: الثانية جـ ٥ ص ٥٤، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م – مكتبة الخانجى بالقاهرة.

ويروى هذا البيت فى «الديوان» هكذا:

وبعد الخير «علقمة بن بشر» إذا ترت النفوس إلى الحلـوق

ويروى البيت برواية أخرى وهى:

وبعد الخير «علقمة بن بشر» إذا ما الموت كان لدى الحلوق

ويروى أيضا: «إلى الحلوق».

فاتفقـت رواية «الخزانة» مع رواية «سمط اللآلئ للبكرى»، و«أشـعار النسـاء للمرزبانى»، وأما روايـة «إلى الحلوق» فهى رواية «العينى»[1] فى «شـرح الشـواهد الكـبرى وعلى هامش خزانة الأدب».

والمعنـى: أن «خرنـق» تعالننا أنها لن تحـزن بعد فقدها «لبشـر» علـى حىّ يمـوت ولا صديـق إذا ما بلغـت الروح الحلقوم، وذلك يدل على مدى وفائها لزوجها واعتدادها به، وفرط حبها له.

ونحـن نرى أن الألفاظ الواردة فـى هذا البيت على اختلاف الروايات، وهى «لدى الحلوق» و«ترت النفوس إلى الحلوق» كلها بمعنى واحـد، وهو ما إذا الروح ترت وعلـت وبلغت الحلقوم،

---

(١) شـرح الشواهد الكبرى: للعينى – على هامش خزانة الأدب، وسمط اللآلئ: للبكرى – لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر – ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

يقـول – سـبحانه –: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ نَّنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سورة الواقعة.

ثـم تذكر الشـاعرة أهمية زوجها «بشـر» ومكانته السـامقة ومنزلته الشـامخة بين قومه، حيث شـبهت من صرع من أهل «بشـر» وقتل حواليه بالجذوع التى تكفأتها وأمالتها ولعبت بها الرياح الشديدة.

ولفظـة الحريق الواردة فى البيت لا تتناسـب والمعنى المراد، والصواب «الخريق»، وفى «اللسان»: انخرقت الريح: هبّت على غير اسـتقامة، وريح خريق: أى شديدة، وقيل: لينة سهلة فهو ضدّ، والخريق من أسماء الريح الباردة الشـديدة الهبوب، كأنها خرقت، قال «الأعلم الهذلى»:

كأن ملاءتى على هِجَـفٍّ يعنّ مع العشيـة للرئـال
كأنّ هُويّها خفقـان ريـح خريقٍ بين أعـلام طِـوالِ

يقولَ الجوهرى: وهو شاذ، وقياسـه «خَرِيقَةٌ»، وهكذا أنشد الجوهرى، قال «ابن برىّ»: والذى فى شعره:

كأن جناحها خفقان ريح[1]

(١) ينظر: لسـان العرب لابن منظور – مادة «خرق» – المجلد الثانى – ط: دار المعارف ص ١١٤٢.

يصف ظليما، وهو ذكر النعام.

وأنشد لحميد بن ثور الهلالى:

بمثوى حرام والمطى كأنـــه قنا مُسْنَدٌ هبت لهنّ خريق[1]

وأنشد أيضا «لزهير بن أبى سلمى المزنى»:

مكلل بأصول النبت تنسجـه ريح خريق لضاحى مائة حبك[2]

وقول الشاعرة: كما مال الجذوع من الحريق شبيه بقول الآخر:

ألا من رأى قومى كأن سراتهم نخيل أتاها عاصف فأمالهـا

مَنَت لهم بوالبـــة المنايـــا بجنب «قُلاب» للحين المسوق

والأبيات دليل حاسم على أن «عميلة بن المقتبس الوالبى» هو الذى قتل «بشـر بن عمرو بن مرثـد» زوج «خرنق» وليس «خالد ابن نضلة بن الأشتر الفقعسى»، ثم تذكر الوقعة التى دارت فيها المعركـة وهو جبـل «قُلاب»، فتقول: فكم «بقُـلاب» من أوصال ممزقة، وأشـلاء متناثرة، وجماجم مفلقة لرجال بواسـل، وكرام شجعان اشتهروا بالجود والكرم، وهى تقصد زوجها بهذه الصفة

---

(١) ينظـر: ديـوان حميد بن ثور الهـلالى ص ٣٤ – تحقيق: عبد العزيز الميمنى رئيس قسـم اللغة العربية بجامعة عليكرة بالهند – نشر: الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة – ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

(٢) ينظر: الديوان.

منت لهم: قدرت – والبة: حى من بنى أسد.

بأنه جواد كريم متوسع فى أعمال الخير، وهؤلاء الرجال الذين كؤوس الموت «بقُلاب» كانوا ندامى للملوك وهذا دليل على طيب المحتد، وشرف النجار، وعراقة الأصل، فقد كانوا جلساء الملوك ينادمونهم إذا لقوهم حُبُوا وسُقوا بكؤوسهم لشرفهم وعزتهم لدى الملوك، ثم نراهم «بقُلاب» قد جدعت أنوفهم وأرغموها فما ينساغ لها ريق حيث استبد بها الأسى، وأحاط بها الحزن، وليست وحدها فى ذلك، بل هناك كثرة كاثرة من النساء شاركنها ذلك الأسى الممض والحزن القاتل حتى تبدد الكحل من أعينهنّ، وذلك لكثرة الدموع التى انحدرت من أعينهنّ ومآقيهنّ حزنا وأسىً على فقدهنّ رجالهنّ فلذلك لا يبقى فى أعينهنّ كحل لغزارة الدمع الهاطل من أعينهنّ.

ومن الأرزاء والمصائب التى حلت بهؤلاء النسوة أنّ بضوعهنّ أصبحت بعد مقتل رجالهن كلأ مباحا حيث تمتعن بهنّ دون مهور، وتلك غاية فى الذلة والمهانة فيقال: ملك فلان بضع فلانة وذلك إذا تزوجها، ولكن «خرنق» تقول هنا: لما قتل «بشر» سبى بناته ونساؤه وأسرن لدى العدو فنكحن بلا مهر فرخصت البضوع بلا مهر، أى أصبحت رخيصة ذليلة.

وقالت «خرنق» أيضا ترثى «بشرا» ومن قُتِل معه فى يوم «قُلاب»:

لا يبعدن قومى الذين هُـمُ ... سمُّ العادة وآفـة الجُـزْرِ
النازلون بكـلِّ مُعْتَـرك ... والطَّيِّبيـن معاقـد الأُزُرِ
الضَّاربونَ بحَوْمة نُزِلَـتْ ... والطَّاعِنون بـأَذْرُع شُعْـرِ
والخالطون نحيتهم بنضارهم ... وذوى الغِنَى منهم بذِى الفَقْرِ
إن يَشْربوا يهبوا وإن يَـذروا ... يتواعظوا عن منطق الهُـجْرِ
قوم إذا ركبوا سمعت لهـم ... لغطا من التَّأييـه والزَّجـرِ
من غير ما فُحشٍ يكُونُ بينهم ... فى مَنْتَج الـمُهُرات والـمُهْرِ
هذا ثنائى ما بقيت لهـم ... فإذا هَلَكْتُ أجنّنى قَبْـرى
لاقَوا غداة «قُلاب» حتفهـمُ ... سَوْقَ العَتِير يُسَاق لِلعَتـرِ[1]

اللغويات:

سـم العداة: أى هم لأعدائهم مثل السم – آفة الجزر: لأنهم ينحرونها للأضياف – الأزر: تريد أنهم أعفاء الفروج، وأزر جمع «إزار» – النازلـون والطيبـون: يروى «النازلـون»، و«النازلين»، وكذلـك «الطيبـون»، و«الطيبين» – الحومـة: حومة الحرب – أذرع: جمع ذراع – شُعر: جمع أشعر.

(١) ينظر: الديوان ص ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢.

ويروى أيضا: «الضاربون» و«الضاربين»، و«الطاعنون» و«الطاعنين»، والخالطون نحيتهم بنضارهم ويروى و«الخالطين». والنحيت: الساقط الخامل الذكر ويقول صاحب «اللسان»: النحيت: الدخيل فى القوم – النضار: الذهب، والمراد به الخالص النسب.

وهذا كله إذا نصبت شيئا منه فإنما تنصبه على المدح، وتريد أن تقول: أعنى الخالطين، وأذكر الطيبين. وإذا رفعت شيئا منه بعد منصوب فإنما تريد أن تقول: أذكر الضاربين وهم الطعنون، وأعنى النازلين وهم الطيبون.

وهناك بيت آخر أضيف إلى هذه القصيدة، وهو فى «مقدمة النحو لخلف الأحمر»، وأيضا ذكره محقق «الديوان» فى هامش رقم ٢ ص٣٠، وهو:

والطاعنين لدى أعنتها والضاربون وخيلهم تجرى

الهجر: المنطق الفاحش – اللغط: الذى لا يكاد يفهم – التأبيه: التصويت، يقال: أيَّهت به إذا صحت به، والزجر: يعنى به زجر الخيل – المهورات: جمع مُهرة والمهر: تريد به جنس الأمهار الذكور، مثل قولك كنز الدرهم والدينار، وأنت تريد بهذه المقولة كنز الدراهم والدنانير.

الدراسة والتحليل:

وترثـــى «الخرنق» أيضا زوجها «بشـــر» ومن قُتل معه فى يوم «قُـــلاب»، ويذكر صاحب «الأمـــالى» فيقول: عن «أبى عبيدة» أن «خرنق» ترثى زوجهـــا «عمرو بن مرثد» وابنها «علقمة بن عمرو» وأخويه «حسان» و«شرحبيل» فتقول، ويذكر الأبيات:

لا يبعدن قومى الذين هُـــمُ سم العادة وآفـــة الجَـــزر
النازلون بكـــل معتـــرك والطيبـــون معاقـــد الأُزُر[1]

وفى «الخزانة» يذكر قائلا: وهذان البيتان من قصيدة «لخرنق بنت هفّان» رثت بها زوجها «بشـــر بن عمرو بن مرثَد الضّبعى»، وابنها «علقمة بن بشـــر»، وأخويه «حســـان» و«شرحبيل»، ومن قتل معه من قومه، وكان «بشـــر» قد غزا «بنى أســـد بن خزيمة» هو و«عمرو بن عبد الله بن الأشلّ»، وكانا متساندين: «بشر» على «بنى مالك» و«بنى عتاب بن ضبيعة»، و«عمرو» على «بنى مالك» و«بنى رُهم». ومعنى التساند والمساندة: أن يخرج كل رجل على حدته وانفراده ليس لهم أمير يجمعهم. فأغار على «بنى أســـد»، فتقدمتهم «بنو أسد» إلى عقبة يقال «قُلاب»، فقتل «بشر بن عمرو»

---

(١) الأمالى: لأبى على القالى جـ ٢ ص ١٥٨ – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

وبنوه، وفرّ «عمرو بن عبد الله بن الأشل»، فسمى ذلك اليوم «يوم قُلاب»، وهو اسم لجبل فى «ديار بنى أسد».

فتقول الشـاعرة فى رثاء هؤلاء: لا يبعـدن قومى، وهو دعاء منهـا ورجاء ألا تكون بمعزل عنهم، ولا هـم بمنأىً عنها، فهم لأعدائهم كالسم الزعاف القاتل، أى لا يهلكنّ قومى الذين هم سمّ الأعداء، وهم الكرام أيضا الذين يكثرون من نحر الجزر للضيفان، فهنا تصفهم بالشـجاعة والكرم، كما تصفهـم بأنهم ينزلون عن الخيل لدى ضيق المعترك، فيقاتلون على أقدامهم شجاعة وبسالة منهـم حتى يتركون الخيل ويترجلون من فوق صهواتها ويقاتلون الأعداء راجلين، كما تصفهم بأنهم أعفاء الفروج، ويروى «النازلين والطيبين» و«النازلـون والطيبون» فالطيبون على أنه نعت مقطوع بالواو من «قومى» للمـدح والتعظيم بجعله خبرا لمبتدأ محذوف، أى: هـم الطيبون. والطيبين بجعله منصوبا بفعل محذوف، أى: هـم الطيبون، والطيبين بجعله منصوبـا بفعل محذوف تقديره: أعنى أو أمدح.

واسـتدل بعضهم بهذه الأبيات على أن ما تقدم دعاء لمن بقى من قومها، أى: لا أبعد الله من قومى كبعد من مضى منهم، ويرد عليه قولها فى القصيدة:

لاقَوا غداة «قلاب» حدفهـــم سوق العتير يساق للعتْـــرِ[1]

وهؤلاء القـوم هم الضاربون فى حومة الحـروب، والطاعنون بأذرع شعرى.

ويـروى أيضـا «الضاربـون» و«الضاربـين»، و«الطاعنـون» و«الطاعنين».

ويروى:

والطاعنين لـدى أعنتهـــا والضاربون وخيلهم تجـرى[2]

وتستطرد الشاعرة فى مدح قومها ورثاء من قتل منهم فتقول: إنهـم خلطوا خاملهم برفيعهم، وفقيرهم بغنيهم فاكتسـبوا منهم الغنـى والخصال الحميدة، فليس فيهم خامـل ولا فقير، ومثله قول «زهير بن أبى سلمى المزنى»:

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل[3]

وهذا البيت وقع فى شـعر «حاتم الطائى»، قال «أبو عبيدة»: والصواب أنه «لخرنق».

وفـى كتاب «التنبيه على أوهام أبى علـى فى أماليه» يروى البيت هكذا:

---

(١) ينظر: الخزانة جـ ٥ ص ٢٥.

(٢) ينظر: مقدمة النحو: لخلف الأحمر - ط: دمشق - ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

(٣) الخزانة جـ ٥ ص ٥٣.

على مُكثريهم رزق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل[1]

ومجمل القول إن الشاعرة دعت لقومها بأن لا يهلكوا، وهم قد هلكوا بالفعل. وجواب ذلك: أن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ولهم فى ذلك غرضان: أحدهما أنهم يريدون به استعظام موت الرجل الجليل العظيم صاحب الشأن الكبير والهمة العالية، وكأنهم لا يصدقون بموته.

وقد بين المعنى «زهير بن أبى سلمى المزنى» بقوله:

يقولون: حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصنٍ والجبال جنوحُ

ولم تلفظ الموتى القبور ولم تذل نجوم السماءِ والأديم صحيح

يريد أنهم يقولون: مات حصن، ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك، ويقولون: كيف يجوز أن يموت، والجبال لم تنسق، والنجوم لم تنكدر، والقبور لم تخرج موتاها وجرم العالم الصحيح لم يحدث فيه حادث؟!

والغرض الثانى: أنهم يريدون الدعاء بأن يبقى ذكره ولا يذهب؛ لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته، يقول «الحادرة»:

---

(١) التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه: لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى ص ٧٥.

فأثنوا علينا لا أب لأبيكـــمُ بأفعالنا إن الثناء هو الخلد[1]

وفى «البيان والتبيين» للجاحظ يروى البيت هكذا:

فأثنوا علينا لا أب لأبيكـــمُ بأحسابنا إن الثناء هو الخلد[2]

ويروى البيت فى «حيوان الجاحظ» «بإحساننا» فيقول:

فأثنوا علينا لا أب لأبيكـــمُ بإحساننا إن الثناء هو الخلد[3]

وقال آخر يرثى «يزيد بن مَزيد الشيبانى»:

فإن تك أفنته الليالى فأوشكت فإن له ذكرا سيفنى اللياليا[4]

ويقول «المتنبى» وقد أحسن فى قوله:

ذكر الفتى عمـره الثانـــى ما فاته وفضول العيش أشغال[5]

وقد بين الشـاعر «مالك بـن الريب المازنى» مـا فى هذا من المحال من قصيدة يقول فيها:

يقولون: لا تبعـــد وهـــم وأين مكان البعد إلا مكانيا[6]

وقال «الفرّار السّلّمىّ»:

---

(١) الخزانة جـ ٥ ص ٤٦.

(٢) البيان والتبيين: للجاحظ – تحقيق: عبد السلام هارون – مكتبة الخانجى – الطبعة الخامسة – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، جـ ٣ ص ٣٢٠.

(٣) الحيوان: للجاحظ جـ ٣ ص ٤٧٥.

(٤) الخزانة جـ ٥ ص ٤٦.

(٥) ذاته.

(٦) ذاته.

ما كان ينبغي مقال نسائهـم وقتلت دون رجالهم لا تبعَدِ[1]

وتصفهم «خرنق» بالشـجاعة والنجدة، وأنهم يقتلون أعداءهم كمـا يقتلهم السـمّ، كما تصفهم بالكرم ونحـر الإبل للأضياف، فكأنهم آفة للإبل تصيبها فتهلكها فإن قيل: كيف قالت: الذين هـم، وإنما يليق هذا بمن هـو موجود؟ وإنما كان ينبغي أن تقول «كانوا» كما قال الشاعر:

كانوا على الأعداء نارا محرقة ولقومهم حرما من الأحرام[2]

والجواب على ذلك: أن العرب كانت تضمن أو تضمر «كان»؛ اتكالا على فهم السـامع، مثـل قوله – تعالى –: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ سورة البقرة الآية ١٠٢. قال الكسائي: أراد «مـا كانت تتلوا»، أو أنها أرادت إذا دعت ببقاء الذكر بعد موتهم، فصاروا كالموجودين، وكانوا موصوفين بما كانوا يفعلونه.

والمعـترك والمعـرك والمعركة: موضع القتال، وهو مشـتق من عركت الرحا الحبّ، إذا طحنته، والمراد أن موضع القتال يطحن كما تطحن الرحا ما يحصل فيها، قال عنترة العبسيّ:

---

(١) الخزانة جـ ٥ ص ٤٧.

(٢) ذاته بتصرف.

دارت على القوم رحا طحونُ

وقد بين ذلك «زهير بن أبى سلمى المزنى» فى قوله من معلقته:

فتعرككم عرك الرحا بثقالها وتلقح كشافا ثم تحمل متفطِم[1]

وفى «شرح القصائد العشر للتبريزى»، و«شرح المعلقات السبع للزوزنى»، و«الجمهرة» يروى البيت هكذا:

فتعرككم عرك الرحا بثقالها وتلقح كِشافا ثم تنتج فَتُتْئِم[2]

وهم فى المعارك ينزلون من فوق صهوات الخيل فيقاتلَون على أقدامهم، وهم يتداعون: نزال، كما قال «ربيعة بن مقرم الضبى»:

ولقد شهدت الخيل يوم طِرادها بسليم أوظفةِ القوائم هيكل
فدعَوْا: نزالِ فكنت أول نازلٍ وعلام أركبه إذا لم أنزل[3]

---

(١) الخزانة جـ ٥ ص ٤٩.

(٢) شرح القصائد العشر: للخطيب التبريزى – تحقيق: الدكتور/ فخر الدين قباوة – منشورات دار الآفاق – بيروت – لبنان – ط: الرابعة – ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م ص ١٨٢، وشرح المعلقات السبع: للزوزنى – دار القلم – بيروت – لبنان – بدون تاريخ ص ١١٣، وجمهرة أشعار العرب: للقرشى – شرح: الأستاذ/ على فاعور – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط: الأولى – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ص ١٤٣.

الثئال: جلدة تبسط تحتها لينقع عليها الطحين – الكشاف: أن تلقح النعجة فى السنة مرتين – أنتجت الناقة: ولدت – تتئم: تلد توأمين – تلقح: تحمل.

(٣) الخزانة جـ ٥ ص ٤٩، وحماسة المرزوقى – القسم الأول – رقم (٦١).

فحالهـم فى القتال على الخيل مثـل حالهم فى القتال على الأقـدام، وأنهم لا يكعـون ولا يجبنون عن النزول، وقد وصفتهم بذلك لأن أحوال المقاتلين تختلف فى هذه المواقف، فلا ينزل فى تلك المواضع إلا أولو البأس والشدة، يقول «المهلهل»:

لم يطيقوا أن ينزلوا فنزلنـا وأخو الحرب من أطاق النزولا[1]

ثـم تصفهم بأنهـم أعفاء الفـروج؛ حيـث إن العرب تكنى بالشـيء عما يحويه، أو يشتمل عليه فهم لا يحلون أُزُرهم على مـا ليس لهـم. وقد يكنون عن عفة الفـرج بطيب الحُجَزة، كما قال «النابغة»:

رقاق النعال طيب حجزاتهم يُحيَّونَ بالريحان يوم السباسب[2]

يريد «النابغة» أن يقول: إنهم ملوك ليسـوا بأصحاب مشـى ولا تعـب، فيطارقوا نعالهم، أو يخرزوهـا، وهم أعفاء الفروج، وذلـك ما يعنيه بقوله: «طيـب حجزاتهم»، فهى كناية عن عفة الفـرج والنقاء والطهارة من كل دنس، وهم يحيَّون بالريحان يوم السباسب، وهو أحد أعياد النصارى.

---

(١) ذاته ص ٥٠.

(٢) الديـوان ص ٤٧ – تحقيق: محمد أبـو الفضل إبراهيم – ط: دار المعارف – القاهرة – ١٩٧٧م.

يكعون: الكعّ: الجبان – ينظر: اللسان «كعّ».

والمعاقد: جمع معقد بكسر القاف، وهو موضع العقد، وإما جمع «معتقَد» بفتحها وهو مصدر ميمى[1]، وهو كما عرفه علماء الصرف: ما دلّ على الحدث مجردا عن الزمن وكان مبدوءا بميم زائدة لغير المفاعلة، فالمعاقد للأزر، والحجز للسّراويلات، والحجز للعجم وملوك العرب كما ذكرها «النابغة» فى بيته آنف الذكر والمعاقد للعرب وهى جمع إزار، والإزار لدى العرب: ما ستر النصف الأسفل من الإنسان، والرداء: ما ستر النصف الأعلى منه، ثم تقول: آليت لا أحزن بعد «بشر» على أحد يموت ولا صديق.

وهم إن يشربوا يهبوا، وإن يذروا الشراب يعظ بعضهم بعضا عن أن ينطقوا بالهُجْر والمنطق الفاحش. ويقول صاحب «الخزانة»: وقولها: إن يشربوا يهبوا، ليس بمدح تام؛ لأنها جعلت العلة فى كرمهم شرب الخمر، ونحن إلى هذا أميل، فقد عيب على الشاعر «طرفة بن العبد» قوله:

فإذا ما شربوها وانتشوا وهبوا كل أمون وطِمِرّ

وعيب على «حسان بن ثابت» قوله:

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

(١) الخزانة جـ ٥ ص ٥٠.

وقد قال «البحترى» فى هذا فأحسن:

تكرمت من قبل الكـــؤوس فما استطعنا أن يحدثن فيك تكرما

وأول من نطق بهذا «امرؤ القيس» فى قوله:

سماحة ذا وبرّ ذا ووفـاء ذا ونائل ذا إذا صحا وإذا سكـر

فأخبر أنه جواد فى الحالتين جميعا: فى حال الصحو، وفى حال السكر، وهذا هو المدح التام، ثم أتبعه «زهير» فقال:

أخو ثقة لا تتلف الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائلـــه

ثـم تصفهم بأنهم كثرة كاثرة، وجمـع غفير، وقوم كثير فإذا ركبـوا لأمر اختلطت أصواتهم، وذلـك من كثرة زجرهم للخيل، وتعـالى أصواتهم بالصيـاح، ومناداة بعضهم لبعـض، والتأييه: الدعـاء، يقال: أيَّهت بالرجل إذا دعوتـه، وأيَّهت بالفرس إذا زجرتـه، وفى الحديـث: «إن ملك الموت سُـئل: كيف تقبض الأرواح؟ فقال: أؤيّه بها كما أؤيّه بالخيل فتجىء إلىّ»[1].

وقولهـا: فـى غير ما فحـش، أى إنهم يزجـرون الخيل بعفـاف من ألسـنتهم ولا يذكرون الفحش فـى الزجر، وأنهم إذا نُتجت خيلهم فسـرّوا بها لم يخرجـوا بالفحش بالألفاظ،

(١) الخزانة جـ ٥ ص ٥٢.

ثم تقول: إنهم يفخر بعضهم ببعض ولا يجهل أحد منهم على صاحبه، فإننى أثنى عليهم ما حييت إلى أن أموت، فإذا جنّنى قبرى وانقطع ثنائى، ويمكننا أن نقول: إنها أرادت هذا ثنائى عليهم ما حييت فإذا ما جنّنى قبرى بقى ثنائى عليهم وشعرى.

وقولها:

لاقوا غداة «قلاب» حتفهم سوق العتير يساق للعتر

فالحتف: المراد به الهلاك، وسوق مفعول مطلق، أى سيقوا إلى الحتف سوقا كسوق العتير، وهو بفتح العين المهملة وكسر المثناة الفوقية، وهو ما يُذبح للأصنام فى «رجب» فى الجاهلية تعظيما لأصنامهم، والعتر بفتح العين المهملة «ذبح العتيرة» فهو مصدر، و«قلاب» هو جبل من «محلة بنى أسد» على ليلة وفى عقبة «قلاب» قتلت بنو أسد «بشر بن عمرو» زوج «خرنق» وابنها منه «علقمة بن بشر» فقالت:

مُنت لهم بوائلة المنايا بحرف قلاب للحين المسوق[1]

ثم إن «بنى ضبيعة» أصابوا «بنى أسد» «بهرشى» وأدركوا بثأرهم، فقال «وائل بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد»:

(١) الخزانة جـ ٥ ص ٥٤.

أربى يوم هرشى أدرك الوتر فاشتفى بيوم قلاب والصروف تدور[1]

وقالت «خرنق» ترثى «بشرا»:

ألا لا تفخرن أسد علينا بيوم كان حينا فى الكتاب
فقد قطعت رؤوس بنى قعينٍ وقد نقعت صدور من شراب
وأردينا «ابن حسحاس» فأضحى تجول بشلوه غبس الذئاب[2]

اللغويات:

وقد نَقَعت صدور من شراب، ويروى: بل الصدور من الشراب – بنو قعين: هم من «بنى أسد»، وكان قتل منهم قوم – والشلو: الجزء من أعضاء الجسم، غبس الذئاب: الغبس والغبسة: لون الرماد، وهو بياض فيه كُدرة، وذئب أغبس: إذا كان ذلك لونه، وقيل: كل ذئب أغبس، وفى حديث «الأعشى»: «كالذئبة الغبساء فى ظل السرب» أى الغبراء، وقيل: الأغبس من الذئاب: الخفيف الحريص وأصله من اللون. نقعت: رويت، تقول: نقع الماء فى المسيل ونحوه ينتقع نقوعا واستنقع أى اجتمع، واستنقع الماء فى الغدير أى اجتمع وثبت، والمنقع

(١) ذاته.

(٢) ذاته ص ٣٣. نقعت: رويت.

بفتح الميم والنون وسكون العين: الموضع الذى يستنقع فيه الماء، والجمع مناقع، وفى حديث «محمد بن كعب»: «إذا استنقعت نفس المؤمن جاءه ملك الموت»، أى إذا اجتمعت فيه تريد الخروج كما يستنقع الماء فى قراره، وأراد بالنفس الروح، قال «الأزهرى»: ولهذا الحديث مخرج آخر وهو من قولهم: «نقعته إذا قتلته»، وقيل: إذا استنقعت يعنى إذا خرجت. ونقع السم فى أنياب الحية أى اجتمع، قال الشاعر:

أبعد الذى قد لج تتخذيننى عدوا وقد جرعتنى السم مُنْقَعا[1]

ويقول «النابغة الذبيانى»:

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم ناقع[2]

وموت ناقع: أى دائم، ودم ناقع: أى طرىّ، قال «قسام بن رواحة»:

ومازال من قتلى رزاح بعالج دم ناقع أو جاسد غير ماصح[3]

---

(١) لسان العرب – المجلد السادس – ط: دار المعارف – مادة «نقع» ص ٤٥٢٥ وما بعدها.

(٢) ذاته ص ٤٥٢٦، وديوان النابغة – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – ط: دار المعارف ص ٣٣.

(٣) اللسان ص ٤٥٢٦ – مادة «نقع».

الدراسة والتحليل:

ترثى الشاعرة زوجها «بشر» فتقول: لا تفخرن «بنو أسد» بيوم انتصرت علينا فيه، كانت لهم الغلبة، وهو «يوم قلاب» الذى وقعت فيه المعركة وأظفرهم الله بنا فإن ذلك أمر مقدور «بيوم كان حينا فى الكتاب»، ومع ذلك فإن أجنادنا قاتلوا ولم يستسلموا، فقد طعت رؤوس من «بنى قعين» ورويت الصدور بذوقها طعم الموت فشبه ذوق طعم الموت بالشراب الذى يبل الأوام، ويروى الصدور، ويشفى الغليل قال – تعالى –: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ سورة العنكبوت الآية ٥٧، فذوقها لطعم الموت يعنى قساوته، وشدته ومعاناة خروج الروح من الجسد، فإن كنا قد منينا بهزيمة نكراء فى هذا اليوم «يوم قلاب» فإن رجالنا البواسل قد قطعت بأيديهم رؤوس من «بنى أسد»، وأذاقوهم طعم الموت، كما أردينا «سبع بن حسحاس» فأضحى نهبا للسباع، وصارت أشلاؤه الممزقة والمبعثرة فى ميدان القتال تجول بها أغبث الذئاب هنا وهناك، وهى تعنى بذلك أن أشلاءه مزقت وبعثرت فى كل مكان، وهى كناية عن كثرة ما لحقه من ضرب وطعن، حتى إن جسده تفرق وتبعثر فى كل ناحية، وإذا كانت الشاعرة تعنى «بابن حسحاس» الذى

قتل زوجها «بشـر بن عمرو بن مرثد» فتكون الأبيات خارجة عن موضوع الرثاء؛ حيث إنها أنشـدت هذه الأبيات بعد مقتل «سبع ابن حسـحاس» قاتل زوجها للانتقام منه، فهى تفاخر بأن قومها تكسرت على نصال أسيافهم كثرة كاثرة من رقاب «بنى قعين» وعم من «بنى أسد» فى المعركة التى دارت رحاها لدى «قُلَاب»، وأردوا وقتلوا وانتقموا من «سبع بن حسحاس» قاتل زوجها «بشر»، وأنهم تركوه جزر السـباع، ونهبا وفريسة سهلة لأخبث أنواع الذئاب؛ حيث شفت غليلها، وأطفأت النار المتأججة فى صدرها، وأدركت ثأرها، وسُرّت بالانتقام من قاتل زوجها، فتقول:

وأردينا «ابن الحسحاس» فأضحَى تجول بشِلْوه غُبْسُ الذئـاب

وقالت «خرنق» أيضا فى ذلك المعنى:

سمعت «بنو أسد» الصياح فزادهم عند اللقاء مع النِّفار نفـارا
ورأت فوارس من صلبية وائل صُبُرا إذا نقع السنابك ثـارا
بيضا يُحَزِّزْن العظام كأنمـا يوقدن فى حلق المغافر نـارا

اللغويات:

صلبيـة وائل: يعنى من أصولهم وليسـوا بحلفاء ولا موالٍ – صُـبُرا أى إنهـم يصـبرون على البـلاء، فهى تصفهـم بالجلد وقـوة الاحتمال – النقـع: الغبار المتطاير من سـنابك الخيل –

والسنابك: حوافر الخيل – ثارا: تطاير – البيض: الأسياف يُحَزِّزن: الحَزّ: قطع فى اللحم، وفى الحديث: «أنه احتزّ من كتف شاة ثم صلّى ولم يتوضأ»، فهو افتعل من الحزّ «القطع»، ويحززن: يقطعن العظام. والحزَّة: ما قطع من اللحم طولا، قال «أعشى باهلة»:

تكفيه حزّة فلذٍ إن ألمّ بهـا من الشَّواء ويروى شربه الغُمَر

المغافر: جمع مغفر بكسر الميم وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، وقيل: هو رفرف البيضة يعنى الخوذة التى يلبسها الجندى فى الحرب.

وفى هذا المعنى يقول الشاعر:

وعبد يغوث تحجل الطير حوله قد احتزّ عرشيه الحام المذكر

فجعل الحزّ هنا قطع العنق، والمحزّ موضعه، والتحزز: التقطع.

الدراسة والتحليل:

وفى هذه الأبيات التى تصف فيها الشاعرة «خرنق بنت بدر» المعركة التى دارت بين قومها وبين «بنى أسد» لدى «قُلاب»، فتقول: لقد سمعت «بنو أسد» صياح وجلبة الرجال، فاستعد «بنو أسد» للقائهم، واستنفروا قومهم للقاء قوم «الخرنق» وهم مذعورون وجلون ومرتعدون خائفون.

فالنفار الأول معناه التجمع، قال – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة التوبة، وقال – تعالى –: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا ﴾ سورة التوبة الآية ٤١، وقال تعالى –: ﴿ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ ﴿٥١﴾ ﴾ سورة المدثر، وقرئت «مُسْتَنْفَرة» بكسر الفاء بمعنى نافرة، ومن قرأ «مستنفَرة» بفتح الفاء فمعناها منفرة أى مذعورة، وفى الحديث: «بشِّروا ولا تنفِّروا» أى لا تلقوهم بما يحملهم على النفور، يقال: نفر ينفر نفورا ونفارا إذا فرّ وهرب، ومنه الحديث: «إن منكمُ منفِّرين» أى من يلقى الناس بالغلظة والشدة فينفرون من الإسلام والدين، وفى حديث «عمر» – رضى الله عنه – «لا تنفِّر الناس».

ويجوز أن يكون المعنى الذى أرادته الشاعرة هو: عندما سمعت «بنو أسد» صياح القوم وتعالى أصواتهم وجلبتهم وحركتهم، وزجرهم وتأييههم ولّوا مدبرين فارِّين مذعورين، «فزادهم عند اللقاء مع النفار نفارا»، أى إنهم هربوا وفرّوا من المعركة مذعورين خائفين، والسرّ فى ذلك أن فوارسنا هم كرام القوم بيض الوجوه طيبة أحسابهم، عريقة أنسابهم، ليسوا بحلفاء أو موالٍ، فهم من

صليبة وائل؛ لذلك كان قتالهم «لبنى أسـد» قتالا ضاريا؛ لأنهم أولو بأس وشـدة ويقاتلون ببسالة؛ لأنهم على قلب رجل واحد، وبنـو رجل واحـد، وإنهم صُبُر فى الحرب، صـدق عند اللقاء، وبخاصة إذا حمى وطيس المعركة وعلا لهبها، واشتد أوارها وثار غبار النقع من سـنابك الخيل حتى يعقد فوق رؤوسهم ليلا آخر مـن ظلام حالك قال – تعالى –: ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ ﴾ سـورة العاديات، يقول «بشار بن برد»:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنـا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[1]

وتسـتطرد «خرنق» فتصف الفوارس من قومها أنهم يتحدرون من أصول عريقة، وأحسـاب كريمة، وأن أسيافهم أسياف بتارة قاطعـة تُحَزِّز العظام وتقطعه حتى إن المغافر وهو زرد ينسـج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة أو هو رفرف البيضة وهى الخوذة التى يلبسها المقاتل فوق رأسه لتقيه ضربات الأسياف

(١) الديوان جـ ١ ص ٣١٨ – علق عليه: محمد رفعت فتح الله، ومحمد شـوقى أمـين – الطبعـة الثانية – ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م – لجنة التأليف والترجمة والنشـر بالقاهرة، ورواية الديوان «فوق رؤوسهم»، وأكثر الكتب العربية والأدب ورواية الديوان أرشق فقد أراد الشاعر أن يتوصل بجعل النقع فوق رؤوس الأعداء إلى إفادة أن أسياف قومـه كانـت واقعة على رؤوس الأعداء مع ذلك النقع؛ لأن "أسـيافنا" مفعول معه أو معطوف عليه.

ورمى النبال، بيد أن أسـياف هؤلاء تقطع العظام وتدغدغه، ومن قوتهـا وصلابتها يتطاير الشـرر حينما تلتقى بخـوذة العدو من «بنى أسد» فالتقاء السيف بالخوذة أو المغفر لقوته وصلابته وشدة الضرب به يحدث شررا متطايرا من قوة احتكاك الحديد بالحديد فكأنه نار محرقة.

وقالت «خرنق» أيضا ترثى زوجها «بشر بن عمرو بن مرثد»:

ألا ذهب الحَلاَّل فى القفرات ومن يملأ الجفان فى الحجرات
ومن يرجع الرمح الأصم كُعُوبُه عليه دماء القوم كالشقِرات[1]

اللغويات:

الحـلّال: حلّ بالمكان يحلّ حلـولا ومحلا وحلا وحللا بفك التضعيف نادر، وذلك نزول القوم بمحلة، وهو نقيض الارتحال، قال «الأسود بن يعفر»:

كم فاتنى من كريم كان ذا ثقة أما تبقى علىّ ولا يقينـى[2]

---

(١) الديوان ص ٣٤.

(٢) لسان العرب – مادة «حلل» ص ٩٧٢.

الديوان ص ١٩٨، ولسان العرب ص ٩٧٢.

شـقائق النعمان: نبت، واحدتها شـقيقة، سميت بذلـك لحمرتها، وأضيف إلى النعمان هذا النبت لأنه حمى أرضا فكثر فيه ذلك، وقيل: لأن النعمان نزل على شقائق رمل قد أنبتت الشقر الأحمر.

الحجـرات: بفتـح الحـاء والجيـم وكسـر التاء «السـنون المجدبة» – الشـقرات مفردها شقرة: شقائق النعمان. القفرات: القفـر والقفـرة: الخلاء مـن الأرض، وجمعه قفـار وقفور، قال «الشماخ بن ضرار الأسدى»:

يخوض أمامهن الماء حتـى تبيّن أن ساحتـه قفـور[1]

ويقـال: أرض قفر، ومفازة قفر وقفـرة، وقيل: القفر: مفازة لا نبات بها ولا ماء، ويروى البيت فى الديوان هكذا:

فخاض أمامهن الماء حتـى تبين أن ساحتـه قفـور[2]

وقفـور: جمع قفر، وهو المـكان الخلاء من النـاس والكلأ، وجمعـه قفـور، وهو خبر لمفـرد؛ لأن المراد جميـع نواحى الماء لا ناحية واحدة، والمعنى: أن هذا الحمار الوحشـى يسبق الأُتُن إلى الماء حتى يطمئن على خلاء المكان من الصيادين أو نحوهم.

الجفان: الجفـن العين، وفى «المحكم»: غطاء العين من أعلى ومن أسـفل، والجمع أجفـن وأجفان وجفون، والجفن أيضا: غمد السـيف، وجفن السـيف: غمده، قـال «حذيفة بن أنس الهذلى»:

---

(١) لسان العرب – المجلد الخامس – مادة «قفر» ص ٣٧٠٠.

(٢) الديـوان ص ١٥٦ – تحقيـق: صـلاح الدين الهـادى – ط: دار المعارف – ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

نجا سالم منـــه بشدقـــه ولم ينج إلا جفن سيف ومئزرا[1]

ونصب جفن السيف على الاستثناء المنقطع، كأنه قال: نجا ولم ينج، والجفنــة معروفة أعظم ما يكون من القصاع، والجمع «جِفَــان» و«جِفَن» بكســر الجيــم وفتح الفاء، وفــي الصحاح: الجفنــة: كالقصعــة[2]، والجفان: القصاع، يقول «حســان بن ثابت» :

لنا الجفنات الغر بالضحـــى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما[3]

فيقول «حسان» : لنا القصاع البيض من كثرة الشحم الذى فيها وكثرته دليل على الكرم، كما أن لنا الأسياف التى تقطر من نجــدة دما، فهو يفخر بكرم قومه ونجدتهم وشــجعاتهم، ويقول الله – ســبحانه وتعالى –: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ سورة سبأ آية ١٣.

والحجرات: الحَجَرة: الناحية، ومنه قول «الحارث بن حلزة»:

عنتا باطلا وظلما كما تعتروا عن حَجْرَة الربيض الظباء[4]

---

(١) اللسان – مادة «جفن».

(٢) ذاته.

(٣) الديوان ص ٢٢١ – ط: دار المعارف – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

(٤) اللسان – مادة «حجر» – المجلد الثانى – ط: دار المعارف ص ٧٨٣، وشرح القصائد العشر ص ٣٩٩ رقم «٥١» من معلقته الشهيرة.

وهذا البيت من معلقته الشهيرة والتى يستهلها بقوله:

آذنتنا ببينهـــا أسمـــاء رُبَّ يُمَـلّ منـــه الثَّـــواءُ

والجمع «حَجْر» و«حَجَـرَات»، وفى حديث «أبى الدرداء»: «رأيت من القوم يسير حَجرةً» أى ناحية منفردا، وهو بفتح الحاء وسكون الجيم[1].

ورمـح أصم: أى صلـب متين، تقول الشـاعرة «خرنق بنت بـدر» راثية زوجها «بشـر» واصفة إياه بالشـجاعة والشـهامة، فتقول الشـاعرة: لقد ذهب ومضى هـذا الرجل الهمام الذى كان يحـل ويقيم فى الأماكن القفرة الموحشـة، بـل فى كل نواحيها حيـث لا أنيـس ولا جليس، ومع ذلك فهو كثـير الحلول فيها والتردد عليها يملأ الجفان والقدور الراسـيات بالطعام ليكرم بها الأضيـاف، ومن يحل بهذه الأماكن الموحشـة القفـرة كرما منه ونبلا، وشجاعة وعلو همة.

ثـم تقول: ومن بعده يرجع الرمح الصلب المتين الكعوب، وقد آب وعليه دماء القوم القانية تشبه شقائق النعمان فى شدة الحمرة، وهـى بذلك تود أن تقول: إنه لا نظير له فى الكرم والشـجاعة، فمن ذا الذى يحل بعده فى الفلوات، ويقيم فى الحَجرات، ويملأ

(١) ذاته – مادة «حجر».

بالطعام القدور الراسيات والجفنات ويرجع بالرمح المتين يقطر دما من دماء الأعداء يشبه شقائق النعمان فى الحمرة؟! فى رأى خرنق لا يوجد من يضاهيه، أو يماثله ويحاكيه.

وقالت أيضا ترثيه:

يا رُبّ غَيْث قد قرى عــازب ... أجشّ أحوى فى جُمَادى مَطيرْ
قاد به أجْــرَد ذا ميعَــة ... عبْلاً شَواه غَيْر كاب عَثُــورْ
فألبسَ الوَحْـش بحافاتــه ... والتَقط البَيْض بجَنْب السَّديرْ
ذاك وقدِ ما يُعجل الباذل الـ ... ـكوماء بالموت كشبه الحصِيرْ
يبغى عليها القَوم إذا أرْملوا ... وساء ظَنُّ اليَلْمعى القــرورْ[1]
آب وقد غنــم أصحابــه ... يلوى على أصحابه بالبَشيـرْ

---

(١) ذاته ص ٣٤ وما بعدها.

السدير: اسم نهر، ويقال: قصر بالحيرة، وفى نوادر الأصمعىّ: عن أبى عمرو بن العلاء: السـدير: هو العشـب. وفى لسان العرب – مادة «سدر» ص ١٩٧٢ – ط: دار المعارف: السـدير بناء، وهو بالفارسية «سهدلى» أى ثلاث شعب أو ثلاث مداخلات، والسدير: النهر، وقد غلب على بعض الأنهار، قال الشاعر:

ألابن أمك مـا بـــدى ... ولك الخورنق والسدير

وفى التهذيب: السدير: نهر بالحيرة، قال عدىّ:

سهرّه حاله وكثرة مـا يمـ ... ـلك والبحر معرضا والسدير

والسـدير: نهر، ويقال: قصر، وهو معرَّب، وأصله بالفارسـية «سه دلة» أى فيه قباب متداخلة، وقال ابن سيدة: السدير: منبع الماء.

اللغويات:

قــرى: من قرى يقرى، بمعنــى تفجر، أى إنه تفجر بالمطر، أو هــى من قرى يقرو بمعنى قصــد الأرض وتتبعها، فكأنما نزل المطر على كل بقعة فيها – الغيث: المقصود به هنا الســحاب – عازب: أى بعيد، ومطر عازب: أى بعيد الموقع – أجش: يعنى به صوت رعدة – الجشة: البحة – أحوى: يعنى ضارب ومائل إلى الســواد، وهذا اللون من السحاب عادة ما يكون غزير المطر – الأجرد: الفرس القصير الشــعر – والشــعرة: الواحدة من شعر، وقد يكنى بالشعرة عن الجمع كما يكنى بالشيبة عن الجنس[1].

الدراسة والتحليل:

وتمضــى «خرنق» فى رثاء زوجها «بشــر بــن عمرو بن مرثد» وتصفه بالكرم والشجاعة، وتذكر أنه غيث أو يشبه الغيث المدرار الهطال الذى يعم الأرض ويغمرها بالماء حتى إذا ما ارتوت اهتزت وربت، وعمّ نفعها وخيرها، وكذلك كان «بشر» فإن خيره وكرمه وجــوده مثله كمثل الغيث يعم القاصــى والدانى، وكما أنه كريم فهو أيضا شــجاع نزال للمعارك قاد به فرس أجرد قصير الشــعر

(١) اللسان – مادة «شعر» ص ٢٢٧٤ – المجلد الرابع – ط: دار المعارف.

عبل غليظ ذو نشـاط وقوة يكر ويفـر، ويقبل ويدبر فهو ذو قوائم قوية، وتلك ميزات فرسـه وقد سـبقها بهذا المعنى الشاعر «امرؤ القيس» حيث يقول:

وقد اغتدى والطير فى كناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكـل
مكر مفر مقبل مدبر معـا كجلمود صخر حطه السيل من علِ

ولقوة شكيمته، ومتانة قوائمه، وخفته وسرعته يلبس الوحش بحافاته، ويلتقط بيض النعام بجنب السدير، وقديما كان يعجل القرى للضيفان فينحر الناقة البازل[1] العظيمة السـنام التى تشبه ناقتـه الضخمة الطويلة السـنام، فإنه ينحرها فى سـخاء وكرم ويقدمهـا للقوم إذا أرملوا وأصابهم الجدب والقحط والفاقة والعوز ليحميهـم ويقيهـم بهذا الطعام من شـدة ما يلاقونـه من البرد القارص، وذلك إذا أرملوا وقلّ زادهم.

وهو بذلك يؤوب وقد غنم أصحابه الخير الكثير، وجعلهم بما بذله لهـم، وقدمه إليهم من نحر الناقة الكوماء الغليظة الضخمة التى تشبه الحصير ضخامة وسعة، فهو بذلك كله جعل أصحابه

(١) البـازل: ذكـرا كان أو أنثى، وذلك فى السـنة التاسـعة، وربمـا الثامنة – الكوماء: الناقة العظيمة السـنام طويلته – الحصير: ثقيفة تصنع من بردى وأسـل ثم تفرش، ولعله شبه الناقة بها فى الضخامة.

وأضيافه يعيشــون فى فرحة وســرور، وبشــر وحبور فهو فارس شجاع مقدام، وأيضا جواد كريم عرف بالبذل والسخاء.

الدراسة والتحليل:

تقول الشــاعرة «خرنق بنت بدر بن هفّــان» ترثى «عبد عمرو ابن بشــر» وكان نديما «لعمرو بن هند» وصديقا للشاعر «طرفة بن العبد البكرىّ» أخو «خرنــق»، فتقول متفجعة عليه وعلى الملوك جميعا: لقد هلك الملوك و«عبد عمرو» وأصبحت العراق كلأ مباحا وخلوا ممن يحمى حماها ويذود عنها حرماتها، ويدفع عن أهلها وقطّانها، ثم تصفه بأنه كريم المتد، عريق النسب، كريم الآباء، فكم من والد لابن بشر تأزر بالمكارم، وارتدى الفضائل والمحامد، فقد جعلت الشــاعرة آباءه يأتزرون بالمكارم ويرتدونها ويحيطون بها ويشتملون على الفضائل والمكرمات، فجعلت اتصافهم بالكرم كأنهم يأتــزرون به ويرتدونه كما يرتدى الإنســان الإزار والرداء ليغطى بهما جســمه، وبوارى بهما سوأته، فكذلك هم لأن الكرم والجود يرفعان الإنسان إلى المنزلة السامقة والمكانة الرفيعة.

■■■

ثانيا: الهجاء

وقالت «خرنق» تهجو «عبد عمرو»:

ألا ثكلتك أمك «عبد عمـرو» أبا الخربات آخيت الملوكـا
هم دحوك للوركين دحـــا ولو سألوك لأعطيت البروكا
ألا سيان ما «عمرو» مشيحـا على جرداء مسحلها علوكـا
فيومك عند زانيـة هلـــوك تظل لرجع مزهرها ضحوكا[1]

اللغويات:

ثكلتـك: مـن الثّـكل، وهو الفقـد، دعاء عليـه بالهلاك – الخربات: جمع خربة بفتح الخاء والراء، وهو الفسـاد فى الدين والخلـق – آخيت الملوك: صادقت وصاحبت، من الإخاء بمعنى الصحبـة والصداقـة – دحوك: دفعوك – دكـوك: ضجعوك – المشـيح: الجاد والمشـيح أيضا معناه الحذر – المسحل: الحديدة المعترضة من اللجام فى فم الفرس – المزهر: العود الذى يضرب به

(١) ذاته ص ٤١.

«آلة موسيقية» – الرجع: رد الدابة يديها فى السير، والرجع: الخطو، يقول «أبو عبيدة»: الرجع فى كلام العرب هو الماء.

الدراسة والتحليل:

وقالت «خرنق» تهجو «عبد عمرو» وهو ابن «بشر بن عمرو ابن مرثد» أحد سادات «بنى بكر» الذين شاركوا فى «موقعة ذى قار» بينها وبين «الفرس»، وكان نديما للملك «عمرو بن هند» الذى مات قتيلا بضربة سيف من الشاعر «أبى الضّيم» هو «عمرو ابن قلزم التغلبىّ» سنة ٥٧٨ ميلادية، فتولى الملك بعده أخوه «قابوس بن هند» ليحكم الحيرة أربع سنوات، مات[1] خلالها «المتلمس الضبى الشاعر» خال «طرفة بن العبد البكرى» وهند أمه، وكان صديقا «لطرفة بن العبد البكرى»، ثم وقعت بينهما خصومة فهجاه «طرفة»، فوشى به «عبد عمرو» لدى «ابن هند»، فأمر الملك «عمرو بن هند» عامله على «البحرين» بقتل «طرفة» حين يسلمه الرسالة التى ابتعثه بها إليه، وكان قد سلّم رسالة مماثلة لخاله «المتلمّس»، وكان «المتلمس» أيضا قد هجا «عمرو بن هند»، فأقبل «المتلمس» و«طرفة» على «عمرو» يتعرضان لمعروفه،

(١) ديوان المتلمّس الضبّىّ – تحقيق: حسن كامل الصيرفى ص ٢٤ – معهد المخطوطات العربية – جامعة الدول العربية.

فكتب لهما إلى عامل «البحرين» و«هجر» وهى مدينة «بالبحرين» وقال: انطلقا إليه فاقتضيا جوائزكما، فلما خرجا من عنده قال «المتلمس»: يا طرفة، إنك غلام حديث السن ولست تعرف ما أعرف، وكلانا قد هجاه، ولست آمن أن يكتب بما نكره، فتعال ننظر فيما كتبه. فقال «طرفة»: لم يكن ليقدم علىّ بمثل هذا. وعدل المتلمس إلى غلام عبادى من أهل الحيرة فقال له: اقرأ ما فى هذه الصحيفة، فإذا فيها السوء، فألقاها فى النهر، وتبع «طرفة» يريد أن يرده فلم يدركه، وقدم «طرفة» على عامل «البحرين» وهو «ربيعة بن الحارث» وهو الذى كتب إليه فى شأن «طرفة» و«المتلمس»، فقال «المتلمس» يذكر ما كان من أمره:

فألقيتها من حيث كانت فإننى كذلك أقفو كل قط مضلل
رضيت لها بالماء لما رأيتها يجول بها التيار فى كل جدول

ومضى «طرفة» حتى إذا كان ببعض الطريق سنحت له ظباء فيها تيس وعقاب فزجرها «طرفة» فقال:

لعمرى لقد مرّت عواطس جمة ومرّ قبيل الصبح ظبى مصُمع[1]
وعجزاء دفعت بالجناح كأنها مع الصبح شيخ فى بجاد مقنع

(١) عواطس: جمع عاطس، وهى ما استقبلك من أمامك من الظباء – مصمع: ذاهب فى الأرض.
العجزاء: القصيرة الذنب – دَفّت: حركت جناحيها كالحمام.

فلن تمنعى رزقا لعبد يناله وهل يَعْدُو بؤساك ما يتوقع[1]

ويروى لنا محقق «ديوان المتلمس» أسبابا فى مقتل «طرفة بن العبد البكرى» ومنها: أن «طرفة» كان قد هجا ابن عمه «عبد عمرو بن مرثد» وهو «عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد بن سعد ابن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة»[2] الذى كان زوجا لأخته الشاعرة «خرنق»، وكان سمينا بادنا، فقال فيه:

ولا خير فيه غير أن له غنىً وأن له كَشْحا إذا قام أهضما[3]

ثم حدث يوما أن دخل الملك «عمرو بن هند» الحمام مع «عبد عمرو» هذا، فقال الملك له صدق ابن عمك «طرفة» حيث يقول فيك، وذكر البيت آنف الذكر فقال «عبد عمرو»: إنما قال فيك شر، وأنشده:

فليت لنا مكان الملك «عمرو» رغوثا حول قشا تخور

فأضمر له الشر، وتحيّن له الفرصة للخلاص منه.

---

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٩٨، ٩٩.

(٢) ديوان المتلمس ص ٥٤ – هامش رقم (١)، وشرح القصائد السبع الطوال: لابن الأنبارى ص ١٢٢، والشعر والشعراء: لابن قتيبة الدينورى ص ١٣٧ – ط: الحلبى ص ١٨٥، وط: دار المعارف.

الرغوث: نعجة لها ولد.

(٣) ديوان المتلمس ص ٢٦.

ويذكر لنا «أبو هلال العسكرى» المتوفى سنة ٣٩٥هـ رواية لم ترد فى بعض المراجع فيقول: فقال «عمرو بن هند»: لا أصدقك عليه وقد صدقه، وخاف أن تدركه الرحم فينذره، فمكث غير قليل ثم دعا «بالمتلمس» و«طرفة»، وخاف إن قتل «طرفة» أن يهجوه «المتلمس»؛ لأنهما كانا خليلين، فقال: لعلكما اشتقتما إلى أهليكما؟ قالا: نعم. فكتب إلى «أبى المناذر» عامله على «البحرين» أن يقتلهما، وذكر أنه أمر بحبائهما[1].

هذا ما حدث من ناحية «طرفة»، أما «المتلمس» الضبعى خال «طرفة بن العبد البكرى» فلا نجد هجوا سابقا له، ولكننا نتبين من شعره أن الشاعر هجا الملك «عمرو بن هند» حيث يذكر لنا «المتلمس» أن الملك أطرده، أى أمر بإخراجه عن بلده خوف الهجو، فقال له:

أطردتنى حذر الهجاء ولا ... واللات والأنصاب لا تَئِلُ
ورهنتنى هندا وعرضك فى ... صحف تلوح كأنها خِلَلُ

---

(١) جمهرة الأمثال: لأبى هلال العسكرى جـ ١ ص ٥٨٠، ٥٨١.

أطردتنى: بسكون الطاء والدال: صيرتنى طريدا، وفى اللسان: طرده وأطرده: إذا أمر بإخراجه عن بلده. وقال ابن دريد فى جمهرة اللغة: وأطرد الرجل: إذا ضيق عليه وطنه وأخرج منه، وذلك بيت المتلمس:

أطردتنى حذر الهجاء ولا ... واللات والأنصاب لا تئل

شر الملوك وشرها حسبـــا فى الناس من علموا ومن جهلوا
الغدر والآفـــات شيمتـــه فافهم فعرقوب لـه مثـــل
بئس الفحولة حين جدتهـم عرك الرهان وبئس ما بخلوا
أعنى الخؤولة والعموم فافهم كالطبن لعيس لبيته حِوَل[1]

ومنها أيضا: أن «عمرو بن هند» احتمل على طرفة مسيره مع أخيه من أبيه «عمرو بن أمامة» فحقد عليه، وكان أول معاقبة منه أن بعـث إلى إبل «طرفـة» التى كانت فى جوار أخيه «قابوس»، فأخذها وأخذ معها أخا «لطرفة»، فكتب إليه «طرفة» شـعرا فى ذلك، وهو:

أعمرو بن هند ما ترى رأى صرامة لها سبب ترعى به الماء والشجر
وكان لها جاران: قابوس منهما وعمرو ولم أسترعها الشمس والقمر
فإن القوافى يتلجن موالجـــا تضايقوا عنها أن تولجها الإبر

(١) ديـوان المتلمس – تحقيق: حسـن كامل الصيرفـى – ١٣٩٠هـ – ١٤٧٠م – معهد المخطوطات العربية – جامعة الدول العربية ص ٤٢ – ٤٨.

تثـل: تنجـو – والموئل: الملجأ – الخلل: جمع خلـة، وهو نقش يكون فى بطانة السيف، والجمع خلل وخلال – عرقوب: هو عرقوب بن معبد، كان أكذب أهل زمانه، ضربت به العربا المثل فى الخلف، فقالوا: مواعيد عرقوب، قال كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثـلا وما مواعيدهـــا إلا الأباطيـــل

وقيل: هو عرقوب بن نصر. وقيل: هو رجل يهودى من خبر.

وقـال «طرفة بن العبد البكرى» يهجـو الملك «عمرو بن هند» هجاء مقذعا، فيقول له:

ملك يلاعب أمه وقطينهـــا رخو المفاصل أيره كالمرود[1]

ويروى البيت أيضا «للمتلمس الضبعى»، وهو مثبت فى ديوانه فى القصيدة رقم (٦) التى قالها حين لحق بالشام هاربا من «عمرو ابن هند» يحرض «بنى قلابة» رهطه، وقد استهلها بقوله:

إن الحبيبة حبها لم ينفـــذِ والبأس يسلى لو سلوت أخادد[2]

ويذكر «أبو الفرج الأصفهانى» أن «أبا حاتم» روى عن «الأصمعى» أنه هجا بهذه القصيدة «عمرو بن هند» بعد لحاقه بالشام.

وقال «المتلمس»:

من مبلغ الشعراء عن أخويهم خبرا فتصدقهم بذاك الأنفس
أودى الذى عَلِق الصحيفة منهما ونجا حذار رحبائه المتلمس[3]

---

(١) الديوان ص ٥٧، وأيضا فى ص ١٤٧ من الديوان – قصيدة رقم (٦).
ويروى: بعطينها – يريد الفرْج، وكذلك القطين.
أدِّدْ: والددا والددن: اللهو.

(٢) الديوان ص ١٣٣، ١٤٧.
طبن: وطبن بكسـر الطاء وفتحها مع سـكون الباء، وهو خط مسـتدير يلعب بها الصبيان يسمونه «الرحا»، وتسمى أيضا «السدَّد».

(٣) ذاته.
أودى: هلك – علق الصحيفة بكسر اللام: يعنى تعلق قلبه بها – الحباء: العطاء – النقرس: داء معروف يأخذ فى الرجل، والمراد به هنا الهلاك والداهية العظيمة.

وقال أيضا:

ألق الصحيفة لا أبا لك إنـــه يخشى عليك من الحباء النقرسُ

يريد أن يقول: إن الذى ضنّ بالصحيفة هلك، ويعنى بذلك «طرفــة»، أمــا «المتلمس» فإنه لم يغتر بالعطــاء؛ فلذلك نجا، فلمــا قدم «طرفة» على عامل «البحرين» دفع إليه كتاب «عمرو ابــن هند»، فقال: هــل تعلم ما أمرت به؟ قال: نعم أمرت أن تجيزنى وتحســن إلىّ. فقال: يــا «طرفة»، بينى وبينك خؤولة أنــا لهــا راعٍ حافظ، فاهرب فى ليلتك هــذه، فإنى قد أُمرت بقتلك فاخرج قبــل أن تصبح ويعلم بك الناس. فقال «طرفة»: اشــتدت عليك جائزتى، فأردت أن أهرب وأجعل «لعمرو بن هنــد» علىّ ســبيلا، وكلاّ والله لا أفعل ذلــك أبدا. فلما أصبح أمــر بحبســه، وجاءت «بنو بكــر» فقالوا: ما أقــدم «طرفة»؟ فقرأ عليهم كتاب الملــك، ثم حبس «طرفة» ولم يقتله، وكتب إلى «عمــرو بــن هند» أن ابعث إلى عاملك مــا تريد، فإنى غير قاتله، فبعث «عمرو بن هند» رجلا من «تغلب» فاستعمله على «البحرين» فقتل «طرفة»، وقتل «ربيعة بن الحارث»، وقدمهما وقــرأ عليهما عهده، فلبث أيامــا، واجتمعت «بكر بن وائل»

فهمّـت بالتغلبى، وقتل طرفة رجل مـن «الحواثر» «بطن من عبد قيس» يقال له: «أبو رشية»، وقبره اليوم معروف «بهجر» بأرض «لبنى قيس بن ثعلبة» وددته «الحواثر» إلى أبيه لما كان من قتل صاحبهم إياه، بعثوا بالإبل حسبة، ويروى أن «طرفة» قال قبل صلبه:

فمن مبلغ أحياء «بكر بن وائل» بأن «ابن عبد» راكب غير راجل
على ناقة لم يركب الفحل ظهرها مشذبة أطرافها بالمناجـِـلِ[1]

وقال أيضا:

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله فاعل[2]

وقال «المتلمس» أيضا يحرض أقوام «طرفة»:

ابنىْ فلانة لم تكن عاداتكـم أخذ الدنية قبل خطة معضد[3]

ويمضـى «طرفة» برسـالته بعد أن أبا الاسـتماع إلى نصيحة خاله، ليلقى مصرعه، ويبلغ «المتلمس» الخبر فيقول:

عصانى فما لاقى الرشاد وإنما تبين من أمر الغوى عواقبـه
فأصبح محمولا على ظهر آلة يمج نجيع الجوف منه ترائبه

---

(١) ذاته ص ١٠٠.
(٢) ذاته.
(٣) ذاته ص ١٠١.

فإلا تجللها يُعالوك فوقهـــا وكيف توقى ظهر ما أنت راكبه[1]

وتدعـــو «خرنق» على «عبد عمـــرو» لتثكله أمه وتفقده، حيث إنه فاســد الدين والخلــق والمروءة؛ لوشــايته بأخيها لدى الملك «عمـــرو بن هند»، فقد قصد الوشــاية ولم يتحــرّ الصواب. ولعلّ الشــاعرة هنا تتهمه بالوشــاية الكاذبة، أو أنه لم يسلك الطريق الصحيح فى مثل هذه الأمور، وهم دفعوك بهذه الوشاية الكاذبة، ولو ســألوك عن شــىء لأخبرتهم به ولو كان ذلــك الأمر متعلقا بعرضك. وذلك هجاء مرّ ومقذع.

---

(١) الديوان ص ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧.

الغىّ: الضلال والخيبة أيضا – غوى يغوى غيا وغَواية – الآلة: الحربة العظيمة النصــل، وسميــت بذلك لبريقها ولمعانهــا – والآلة الحالة – النجيــع: الدم الطرى الشــديد الحمرة، وفى اللسان: النجيع: الدم، وقيل: هو دم الجوف خاصة، وقيل: هو الطرىّ منه ما كان إلى السواد، وقال يعقوب: هو الدم المصبوب – الترائب: موقع القــلادة من الصدر، وقيل: عظام الصــدر، أو هو جماع عظام صدر المرأة، قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ ســورة الطارق، أى: من صلب الرجل، وجماع عظام صدر المرأة، ومفردها تريبة – والآلة أيضا: الجنازة، أى الخشــبة التى يغســل عليها الميت، وبها فسر قول «كعب بن زهير»:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامتــه يوما على آلة حدبــاء محمـــول

الــبردك من النســاء: التى تتــزوج ولها ولد كبــير بالغ. (اللســان – مادة «برك» ص ٢٦٧ – المجلد الأول – ط: دار المعارف).

ويستوى لديك الجاد والحذر، ولو أنهم وضعوا لجاما فى فمك كالذى يلجم به الفرس ما حجرك عن كلام، وما منعك من الوشاية والكذب، ولا غرو فأنت فاسد الدين والخلق والمروءة، ومتصف بالأفعال القبيحة، فذلك ديدنك، وتلك هجيراك وطبيعتك، وسجاياك وخصلتك، فيومك تقضيه عند زانية هلوك، أو مومسة كنصل الرجع، عجوز شمطاء تشبه الدابة ثقيلة الخطو تخالها مدبرة إذا ما أقبلت مستعجلة، كما يقول الشاعر – مع فارق التشبيه –:

لك يا صديقى بغلة لا تساوى خردلة
وتخالها مدبرة إذا ما أقبلت مستعجلة
أشبهتها بل أشبهتك كأن بينكما صلة

وفى «الجمهرة» تروى الأبيات برواية أخرى مع تباين فى الألفاظ، وهى ثلاثة أبيات فقط، وهى:

ألا ثكلتك أمك «عبد عمرو» أبا النخبات وآخيت الملوكا
هُمُ ركلوك للوركين ركلا ولو سألوك أعطيت البروكا
فيومك عند زانية هلوك كظل الرجع مزهرها ضحوكا[1]

(١) جمهرة أشعار العرب: للقرشى – تحقيق: على فاعور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ص ١٠١ – سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، واللسان – المجلد السادس – ط: دار المعارف – مادة «نخب» – ص ٤٣٧٣. =

فالنخبات: الجبناء، وفى «لسان العرب» لابن منظور: «والنخْبَ» الجبن وضعف القلب، رجل نخب ونخبة ونَخب بفتح النون وكسر الخاء، والنخيب: الجبان الذى لا فؤاد له، وقيل: هو الفاسد الفعل، يقول «أبو خراش الهذلى»:

بعثته فى سواد الليل يرقبنى إذ آثر الدفء والنوم والمناخيب

قيل: أراد الضعاف من الرجال الذين لا خير عندهم، وواحده «منْخاب» بكسر الميم وسكون النون.

وقالت «خرنق» ترثى «بشرا»:

لقد علمت جَديلَة أن بشرا غداة مُرَبِّح مُرّ التقاضى
غداة أتاهُمُ بالخيل شُعثا يدق نسورَها حدّ القِضَاضِ
عليها كل أصيد تغلبىّ كريم مُركَّب الحدَّين ماض
بأيديهم صوارم مرهفات جلاها القين خالصة البياض
وكل مثقف بالكف لَدْنٍ وسابغةٍ مِن الحَلَق المُفَاض

= يقال: رأى فلان الشعرة إذا رأى الشيب فى رأسه، ورجل أشعر وشَعِر وشعرانىّ: كثير شعر الرأس والجسد طويله، وهذا كلام مستأنف وليس متعلقا بما قبله، ومعناه أنه يكنى بالشعرة عن الشيب، انظر: الصحاح، وأساس البلاغة: للزمخشرى – الميعة: النشاط – شواه: قوائمه – عبل: غليظ – البيض: يعنى بيض النعام – الرمل: قلة الزاد – القرور: الذى يجد البرد – الحر: شدته – والقرّ: شدة البرد – واليلمعىّ: الصحيح الظن، ويروى: القرور من القرّة، لا من القرار – آب: رجع – يلوى – يرجع.

فغادر معقلا وأخاه حِصنـــا عَفِيرَ الوَجْه ليس بذى انتهَاضِ

اللغويات:

جديلــة: يريــد «جديلــة بن أســد» – مربّح: يقــول محقق الديوان: لم نجد فى معاجم البلدان موضعا باســم «مُرَبِّح»، وإنما وجدنــا فيها «مُرْبَخ» بكســر الباء مخففة علــى طريق الحاج من الكوفة – الأصيد: الذى يرفع رأســه كبرا – الصوارم: الأسياف الثقيلة، ومفردها صارم يعنى قاطع بتار – القين: الحداد، والقينة المغنية، وجمعها «قيان» بكسر القاف وفتح الياء – المثقف: الرمح المهذب المســوى – اللدن: المهتز – سابغة: واسعة – والمفاضة: الواســعة أيضا – ليــس بذى انتهــاض: أرادت أنه ميت وجثة هامدة لا حراك به – والرّبخ من الرجال: العظيم المسترخى[1].

الدراسة والتحليل:

تقول الشــاعرة «خرنق» لقد علمت «جديلة بن أسد» أن «بشر ابــن عمرو» رجل عظيم، مر وصعب وشــديد حين يلتقى بعدوه، فليس أمرا ســهلا أن ينال منه أحد، ولكنه القضاء والقدر، وفى هذا المعنى يقول «أبو فراس الحمدانى»:

(١) اللسان – «ربخ».

أسرت وما صحبى بعذل لدى الوغى ولا فرس صهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حمّ القضاء على امرئ فليس له برّ يقيه ولا بحر[1]

وذلك حين داهمهم، والتقى بهم وقاتلهم بخيل قوية تبعثر دقاق الحصى ببواطن حوافرها، وأيضا لسرعتها وقوتها وخفتها فى الكر والفر والإقبال والإدبار، على صهواتها فوارس شجعان بهم شمم وإباء، بأيديهم أسياف ماضية الحد مرهفة، بتّارة قاطعة جلاها الحداد وأتقن صنعتها، فجاءت أسيافا صوارم ثقيلة، بيضاء قاطعة باترة، كما أن بأيديهم الرماح المثقفة المهذبة المستوية، والدروع السابغة الواسعة المفاختة التى تقيهم طعنات الأعداء، وضربات الخصوم فهى دروع متينة واسعة تغطى جسم المقاتل فتقيه وتحفظه من ضربات الأسياف، ورمى النبال، وطعنات الرماح، وقد غادر فى ذلك اليوم معقلا وأخا حصنا مضرّجا فى دمائه قد مُرِّغ وجهه فى التراب ميِّتا لا حراك به وجثة هامدة.

والعَفْر والعَفَر: ظاهر التراب، وعفره فى التراب يعفره عفرا وانعفر وتعفر: مرَّغه فيه أو دسّه، ويقول الله – تعالى –: ﴿ يَتَوَارَىٰ

(١) حمّ: قضى وقدر – الأعزل: الذى لا سلاح معه – ربه: صاحبه – غمر: جاهل بالأمور – المهر: الفرس الصغير.

مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ سورة النحل. ويدسه فى التراب: يواريه فى التراب، وفى حديث «أبى جهل»: «هل يعفر محمدٌ وجهه بين أظهركم؟» يريد به سجوده فى التراب؛ ولذلك قال فى آخره: «لأطأنَّ على رقبته أو لأغفرنَّ وجهه فى التراب» يريد إذلاله، ومنه قول الشاعر «جرير»:

وسار «لبكر» نخبة من «مجاشع» فلمَّا رأى «شيبان» والخيل عفَّرا[1]

وفى الديوان يروى البيت هكذا:

وسار «لبكر» نخبة من «مجاشع» فلمَّا رأى «شيبان» والخيل كفَّرا[2]

وفى رواية «اللسان» يقول: قيل فى تفسير «عفّرا»: أراد «تَعَفَّر»، ورواية «الديوان» «كفَّرا».

ونحن نرى أن الشاعر أراد أن يقول: «كفَّرا» بمعنى: ستره بالتراب؛ حيث إن معنى «كفَّر الشىء»: غطاه بالتراب، ومنه قيل للزارع: كافرا؛ لأنه يكفر البذرة ويغطيها بالتراب، ثم يتولى الله بعد ذلك إنباتها ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة الواقعة، وقال – تعالى –: ﴿ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

(١) اللسان – مادة «عفر» – المجلد الرابع ص ٣٠٠٨.

(٢) الديوان ص ١٨٩ – ط: دار صادر – بيروت.

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة الفتح، ويقول «السكرى»: عَفْرٌ أى يعفره فى التراب، وعفرت فلانا فى التراب إذا مرغته فيه تعفيرا، قال «المُرَّار» يصف امرأة طال شعرها وكثف حتى مسَّ الأرض:

تهلك المدراة فى أكنافه وإذا ما أرسلته يَعْتَفِر[1]

وفى «المفضليات للضبى» يروى البيت برواية أخرى وهى:

تهلك المدراة فى أفنانه وإذا ما أرسلَتْه يَنعَفِر[2]

وقالت «خرنق» ترثى «عبد عمرو بن بشر»، وكان «عبد عمرو» نديما «لعمرو بن هند»:

ألا هلك الملوك «وعبد عمرو» وخُليت العراق لمن بغاها
فكم من والد لك يا «بن بشر» تأزَّر بالمكارم وارتداها
بنى لك «مرثد» وأبوك «بشر» على الشُّم البواذخ من نُداها[3]

---

(١) اللسان – مادة «عفر».

(٢) المفضليات: للضبى ص ٩٠ – تحقيق: أحمد شاكر، وعبد السلام هارون – المفضلية رقم «١٦» المدراة: المشط – هلاكها: غوصها فلا تظهر منه – أفنانه: ذوائبه – ينعفر: يصيبه العَفَر بفتحتين أى التراب من طوله.

(٣) الديوان ص ٣٩.

بغاها: أرادها – تأزّر: أزر به الشىء: أحاط، والإزار: الملحفة، واتزر بكذا وتأزر بـه: لبس المئزر، وتأزر بالمكارم: أحاط بها. (لسان العرب – مادة «أزر» – المجلد الأول ص ٧١ ط: دار المعارف).=

وفى هذا المعنى أيضا يقول «حسان بن ثابت» :

ألا أبلغ «أبا سفيان» عنـــى فأنت مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هـــواء

ومعنى المجوف والنخب والهواء: الجبان الذى لا قلب له[1].

ومعنى واخيت – الوخى: الطريق المعتمد، وقيل: هو الطريق القاصد، وقال ثعلب: هو القصد، وأنشد:

فقلت: ويحك أبصر أين وخيهم فقال: قد طلعوا الأجماد واقتحموا

وجمعه «وُخِـىّ» و«وِخِىّ»، فإن كان «ثعلـب» عنى بالوخى القصد الذى هو المصدر فلا جمع له، وإن كان عنى «الوخى» الذى هـو الطريق القاصد فهو صحيح؛ لأنه اسـم، وقال «أبو عمرو»: «وخى» يخى وخيا: إذا توجه لوجه، وأنشد الأصمعى:

قالت ولم تقصد به ولم تخـه ما بال شيخ آض من تشيخـه
كالكرّز المربوط بين أفرخـه

والمقصـود: أى لم تتحرّ فيه الصواب، وقـال «أبو منصور»: والتوخى بمعنى التحرى إلى الحق، مأخوذ من هذا[2].

= وارتداها: لبسـها – الشـم: العوالى المرتفعة – البواذخ: جمـع باذخ، والباذخ والشـامخ: الجبـل الطويل، صفة غالبـة، والجمع البواذخ – ذراها: ذروة كل شـىء وذُرْوته: أعلاه، والجمع الذرى بضم الذال وتشديدها. (اللسان – مادة «ذرا»).

(١) الديوان ص ٩ – ط: دار صادر – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.

(٢) اللسان – مادة «وخى» – المجلد السادس – ط: دار المعارف ص ٤٧٩١.

وقــال «الليث»: توخيت أمر كذا، أى تيممته، وعلى ذلك يكون المعنــى: ثكلتك أمك يا «عبد عمــرو»، يا آل الجبن والغدر والخيانة والخســة؛ حيث إنك لم تتحــرّ الصدق فى وشــايتك «بطرفة» لدى الملك «عمرو بن هند»، وهم قد دفعوك إلى الوشــاية دفعا، ولو سألوك أكثر من ذلك لأعطيتهم، والأمر سـّيان حيث لا يمنع حذر من قدر، ولا غرو فى وشايتك هذه التى أودت «بطرفة» وهو فى شرخ الشباب وعنفوانه وقوته، فإنك رجل فاسد الدين والخلق، فإقدامك على مثل هذا الأمر من الوشاية وعدم تحرى الصدق، وقول الحق فيما توجهت به وقصدت من الوشــاية «بطرفة بن العبد البكرى» لدى الملك «عمرو ابن هند» فجعلته يغدر به ويقتله بينما كنا ننتظر إيابه من «البحرين» شابا جلدا قويا، ينعم هو بشبابه وننعم نحن برؤياه بيننا.

وتنســب الأبيات إلى «خرنق بنت عبعبة» مع تباين فى بعض الألفاظ، فقالت تهجو «عبد عمرو بن بشر»:

ألا ثكلتك أمك «عبد عمــرو» أبا الخزْيَات آخيت الملوكــا
هُمُ ركـوك للوركين ركـــــا ولو سألوك أعطيت البروكـا[1]

وفي «اللســان»: الركيــك والركاكة والأركّ مــن الرجال: هو الفسْــلُ الضعيف فى عقله ورأيه، وقيل الركيك: الضعيف، فلم

(١) لسان العرب – المجلد الثالث – ط: دار المعارف – مادة «ركك».

يقيـد أى إنه لم يخصها بمعنى معين وإنما هى تفيد الضعف فى كل شـىء على الإطلاق، وقيل: الذى لا يغـار ولا يهابه أهله، وكله من الضعـف، ورك عقله ورأيه وارتكّ: أى نقص وضعف، والمرتـكّ: الذى تراه بليغا وحده فإذا وقع فى خصومه عَيِىَ، أبا الخَزْيات بسـكون الزاى والخَزْيَة والخِزْيَـة: البلية يوقع فيها، قال «جرير» يخاطب «الفرزدق»:

وكنت إذا حللت بدار قـوم رحلت بخَزْيَة وتركت عـارا

ويروى «لِخِزْيَة» بكسـر الخاء وسـكون الزاى، وفى الحديث: «إن الحـرم لا يعيذ عاصيا ولا فارّا بخَزية»، بفتح الخاء وسـكون الزاى، أى بجريمة يستحيا منه، ومنه حديث الشعبى: «فأصبتنا خَزْية لم تكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء» أى خصلة استحييينا منهـا، وقوله – تعالى –: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ سـورة البقرة الآية ١١٤، قال «أبو إسحاق»: معناه قتل إن كان حربا، أو يجزوا إن كانوا ذمة، أى تؤخذ منهم الجزية. والمعنى: تدعو الشاعرة على «عبد عمرو بن بشـر» بأن تثكله أمه فهو أبو الخزيات، وصاحب البلايا والمصائـب العظيمة التى يوقع فيها غيره قاصدا وعامدا إلى ذلـك عمدا؛ حيث وشـى لدى الملك «عمرو بن هنـد» «بطرفة بن

العبد البكرى». وقولها: «أبا الخزيات» يفيد بأن هذه عادته وتلك خصالـه وفعاله، فهو ليس صاحب بلية واحدة، وإنما هو صاحب بلايـا ومصائب فادحة كثيرة، وأنه اعتاد ذلك؛ حيث إنه فاسـد المـروءة والخلق والدين، وهـم دفعوك إلى هذه الفعـال دفعا، ولو سـألوك أكثر من هذه لفعلت؛ حيث أصبحت تلك الخلة ديدنك، وهجيراك وطبيعتك.

وقالت «خرنق» حين طرد «عمرو بن هند» بنى مرثد:

ألا مبلغ «عمرو بن هنـــدٍ» وقد لا تعدم الحسناء ذامـــا
كما أخرجتنا من أرض صدق ترى فيها لمغتبـط مقامـــا
كما قالت فتاة الحـى لمـــا أحسّ جناتها حبشا لُهامـــا
لوالدها وأرأتـــه بليـــل قطا ولقلّ ما تسرى ظلامـــا
ألست ترى القطا متواتـرات ولو ترك القطا لغفى ونامـــا

اللغويات:

الـذّامّ والذيم: العيب، تقـول: ذمّه أى عابه – أرض صدق: والصدق ضد الكذب، وأرض صدق: أرض طيبة طاهرة – الغبطة: أن تتمنـى مثل ما لغيرك دون حسـد، والمغتبط هو المغبوط، قال «أبو سـعيد»: الاسـم «الغبطة» وهى حسـن الحال – الجنان:

العقل، وقيل: القلب[1] – لهاما: جيشا عرمرما عظيما – أرأته: أسمعتــه بليل – غفا الرجل غفــوة: إذا نام نومة خفيفة، وكلام العرب أغفى وقلّما يقال: غفا.

الدراسة والتحليل:

تخاطب الشاعرة الملك «عمرو بن هند» بشعرها فتقول له: من مبلّغ عنّا «عمرو بن هند» ما نحن فيه من كرب شديد، ومع أنه ملــك فلا يخلو من العيوب، كما أن الفتاة الحســناء لا تعدم من يذمهــا ويعيبها، و«عمــرو بن هند» هو «عمرو بن المنذر بن امرئ القيس بن النعمــان اللخمى»، و«هند» أمه، ويلقب «بالمحرق»؛ لإحراقه جماعة من «بنى تميم» فى جناية واحد منهم، اشــتهر فى وقائع كثيرة مع «الروم» و«الغسانيين» و«أهل اليمامة»، وكان شــديد البــأس، كثير الفتك، وهــو الذى قتل «طرفــة بن العبد البكــرى»، وقتله «عمرو بن كلثوم»، وقيــل: أول من تكلم بهذا المثل فيما زعم أهل الأخبار «حبًّا بنت مالك بن عمرو العدوانية» وكانــت من أجمل النســاء، فعابها زوجها من ملوك «غسّــان» فقالت: «لا تعدم الحسناء ذاما»[2] فذهبت مثلا.

(١) مختار الصحاح – مادة «جنن».
(٢) مجمع الأمثال: للميدانى.

ثم تقول له: لقد أخرجتنا من أرض طيبة طاهرة، وهى أرضنا، ورأيت أن يقيم بها آخرون يغبطوننا على هذه الأرض الطيبة، أرض الصدق والنقاء، وقد خاطبت فتاة الحى قائلة لوالدها حينما أحسّ فؤادها وشعر قلبها أن جيشا عرمرما كبيرا قصد أرضهم، ويمم ناحيتهم، وأنه جاء متتابعا كأسراب القطا المتواترة المتتابعة فوجا وراء فوج، وسربا وراء سرب، وهذا الجيش العرمرم الكثير داهم أرضنا دون إرادته ودون رغبة منه فى هذا الهجوم الآثم، فهو مكره على هذا الأمر، وليس بإرادته، ولو كان ذلك بإرادته ما فعل بنا ما فعل من طرد «بنى مرثد» من أرضهم، وإحلال قوم آخرين غيرهم، وعبّرت عن هذا المعنى بقولها:

ألست ترى القطا متواترات ولو ترك القطا لغفى وناما

وهى كناية جميلة، وهى لو ترك القطا لغفى وناما، وهو مثل يضرب لمن حمل على المكروه من غير إرادته.

ويقول «المفضل الضبى»: أول من قال هذا المثل «حزام بنت الريّان» وذلك أن «عاطس بن خلاج» سار إلى أبيها فى «حمير، وخثعم، وجعفى، وهمدان» ولقيهم «الريان» فى أربعة عشر حيا من أحياء «اليمن»، فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم تحاجزوا، وإن «الريان» خرج تحت ليلة وأصحابه هرابا فساروا يومهم وليلتهم،

ثم عسكروا فأصبح «عاطس» فغدا لقتالهم، فإذا الأرض منهم بلاقع يعنـــى خالية لا يوجد بها أحد فجـــرد خيله وحث فى الطلب، فانتهوا إلى عسكر «الريان» ليلا، فلما كانوا قريبا منه أثاروا القطا فمرت بأصحاب «الريان»، فخرجت «حزام» إلى قومها فقالت:

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا ليـلا لنامـــا

أى إن القطا لو ترك ما طار هذه الساعة، ولكن القوم قد أتوكم[1].

وقد هجاه أيضا أخوها «طرفة بن العبد البكرى» فقال:

قولا «لعمرو بن هند» غير متئب يا أخنف الأنف والأضراس كالعدس
ملك النهار وأنت الليل مومسة ماء الرجال على فخذيك كالغرس
لو كنت كلب قنيص كنت ذا تكون إربته فى آخر المـــرس
يعوى حريصا بقول القانصات له قَبَّحْتَ ذا وجه أنفٍ ثم منتكس[2]

وهذا هجاء مقذع؛ حيث يصفه بأنه أفطس الأنف قصيره لاذق بوجهـــه، وأنه ملـــك بالنهار له الطاعة والأمـــر والنهى، وبالليل مومسة يؤتى كالنساء على فخذيه ماء الرجال الغرس، وهو سائل كالمخـــاط يخرج من الولد ســـاعة يولد، ثـــم يصفه بأنه مثل كلب الصيـــد الذى تعلق فى رقبته قـــلادة يقاد بها، فهو يعوى حرصا

(١) مجمع الأمثال: للميدانى جـ ٢ ص ٨٢.
(٢) جمهرة أشعار العرب: للقرشى ص ١٥٢.

علـى القنص والصيد، ثم يدعو عليه بقوله: قبحت ذا وجه أنف ثم منتكس، ويقول أيضا يهجوه:

كأن ثناياه إذا افترّ ضاحكـا ... رؤوس جراد فى أرينٍ تخشخش[1]

وتقول «خرنق»:

عفا من آل ليلى السهـ ... ـبُ فالأملاح فالغمـر
فَعَرْق فالرِّمـاح فالْـ ... سلوى من أهلـه قَفْـر
وأبلى إلـى الغـرا ... ء فالمـأوان فالحجْـر
فأمواه الدَّنـا فالنَّجـ ... ـد فالصحراء فالنَّسْـر
فلاة ترتعيهـا العيـ ... ـن فالظلْمـان فالعُفْـر[2]

وقالـت «لعبد عمرو» حين وشـى بأخيهـا «طرفة» إلى «عمرو ابن هند» فقتله:

أرى «عبد عمرو» قَدْ أَشَاط ابن عَمِّه ... وأَنْضَجه فى غَلْى قِدْر وما يدرى
فهلاَّ «ابن حَسْحاس» قَتَلْتَ ومَعْبَدا ... هُما تركاك لا تَريشُ ولا تَبْرَى
هُما طَعَنا مَوْلاك فى فرْج دبره ... وأقبلتَ ما تَلْوى على محْجرٍ تجْرِى

■■■

(١) ذاتـه ص ١٠٣. الجـدد: جمع جدة، وهى القلادة تعلـق فى عنق الكلب – والأربة: العقدة التى لا تحل، وقيل: هى قلادة الكلب الذى يقاد بها – الأرين: نبات يشبه الخطمى، ويجوز أن يكون جمع الإران وهى الجنازة.

(٢) الديوان ص ٤٢.

الخاتمة

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وصلى الله على محمد نبيه وعبده صلاة زاكية وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد

فقد فرغت بحمد الله وتوفيقه من شـرح ودراسة وتحليل شعر الشاعرة «خرنق بنت بدر بن هفّان» بعد أن تعرضنا لحياتها تحت عنوان «الأصل والنشـأة»، فذكرت نسبها ونشأتها، وحياتها، ثم نهضت بدراسـة شـعرها الذى جمعه الدكتور «حسين نصار» فى ديوان صغير الحجم، يتناسب مع شعرها القليل الذى لا يزيد عن تسعة وخمسين بيتا من الشعر أوقفت جلّه على رثاء زوجها «بشر ابـن عبد عمرو بن مرثد»، وبيتان فحسـب رثت بهما «طرفة بن العبد البكرى» أخوها لأمها.

ولعل ذلك يرجع إلى عدم اهتمام الرواة آنذاك بأشعار النساء؛ حيث إن المجتمع الجاهلى لم يكن يسمح لها – ولا لمثيلاتها – بأن تتبوأ المكانة اللائقة بها كشـاعرة، ولم يعن الرواة بشعرها أو بشـعر الشواعر كما عنوا بشعر الشعراء رواية وتدوينا؛ لذلك ضاع

شعرها ولم يصل إلينا منه إلا النذر اليسير، بيد أنه يفصح ويعرب عن شخصية الشاعرة وملامح حياتها.

وقد وفقنا الله – عز وجل – لدراسة شعرها، واتجاهاتها فى هذا الشعر، وذكرت الشواعر اللائى شاركنها فى اسمها، وفسرت الألفاظ الغامضة الواردة فى الأبيات؛ كى تعيننا على شرحها وتحليلها واستكشاف كنه ما ترمى إليه من اتجاهات فى هذا الشعر، مستعينا بالمعاجم اللغوية، وبخاصة التى ذكرت بعض شعر الشاعرة كاللسان، والتاج.

ولم يقتصر بحثنا عن شعرها فى الديوان فحسب، بل ذهبنا إلى كنوز التراث والمصادر التى تعرضت لذكر الشاعرة وذكر بعض أشعارها.

وكثيرا ما وجدنا تباينا فى الألفاظ، واختلافا فى الروايات، وأيضا فى نسبة بعض الأبيات، فتارة تنسب أبيات لها، ثم نراها فى مصادر أخرى قد نسبت «لخرنق» أخرى، وحينذاك كنا نرجح أن الأبيات لها أو لغيرها من خلال دراستنا لشعرها ومعايشتنا له ومعرفتنا لاتجاهاتها وقاموسها الشعرى، بذلك كنا نستطيع استصدار الحكم بأن الأبيات لها أو «لخرنق» أخرى من الشواعر

اللائى شـــاركنها الاسم «كخرنق بنت سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة» و«خرنق بنت عبعبة» و«خرنق بنت قحافة».

وقد فرغت من هذا العمل بتوفيق الله – عز وجل – فى شهر رمضان المعظم عام ١٤١٦هـ – يناير ١٩٩٦م.

ومـــا بـــين دفتى هذا الكتاب هو شـــعر «خرنـــق بنت بدر بن هفّان»، ولعلَّ أحد الدارسين أو الباحثين يطالعنا فى قوادم الأيام بمزيد من شعرها المغمور فى مكتبات أوربا، التى اشتهرت باقتناء كتب التراث العربى والإسلامى، أو بعض المكتبات الخاصة.

والله نســـأل الإخلاص فى القول والعمل والهداية إلى ســـبيل الخير والرشاد.

المؤلف: أ. د. على الخطيب
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد
والعميد الأسبق لكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر الشريف
فرع جرجا

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: السنة النبوية الشريفة.

١ – أشعار النساء للمرزبانى.

٢ – الأصمعيات: للأصمعى.

٣ – الأعلام: للزركلى.

٤ – الأغانى: لأبى الفرج الأصبهانى – ط: دار الكتب المصرية.

٥ – الأمالى: لأبى على القالى – ط: دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ.

٦ – البيان والتبيين: للجاحظ – ت: عبد السلام هارون – ط: الخامسة – مكتبة الخانجى بالقاهرة.

٧ – التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه: للإمام اللغوى أبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى.

٨ – الحيوان: للجاحظ.

٩ – الشعر والشعراء: لابن قتيبة الدينورى.

١٠ – الشعر الجاهلى بين الرواية والتدوين: للأستاذ الدكتور/ على الخطيب مطبعة الأمانة بالقاهرة – توزيع: دار المعارف بمصر.

١١ – العرب قبل الإسلام: جورجى زيدان.
١٢ – المختار من الشعر الجاهلى.
١٣ – المزهر: للسيوطى.
١٤ – المفضليات: للضبى – تحقيق: أحمد شاكر، وعبد السلام هارون – ط: دار المعارف بالقاهرة – الطبعة السادسة ١٣٦١هـ – ١٩٤٢م.
١٥ – الموشح: للمرزبانى – المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٣هـ.
١٦ – تاريخ آداب اللغة العربية: لجورجى زيدان.
١٧ – تاريخ الأدب العربى: للدكتور/ عمر فروخ – ط: دار العلم للملايين بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة – إبريل ١٩٨١م.
١٨ – تاريخ الأدب العربى: لكارل بروكلمان.
١٩ – تفسير الطبرى – نشر: دار الغد العربى – بدون تاريخ.
٢٠ – تاج العروس شرح شواهد القاموس: للزبيدى – المطبعة الخيرية ١٣٠٦هـ.
٢١ – جمهرة أشعار العرب: للقرشى – شرح وضبط وتقديم: الأستاذ على فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
٢٢ – جمهرة الأمثال: لأبى هلال العسكرى.

٢٣ – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: للبغدادى – تحقيق: عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجى بالقاهرة – الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
٢٤ – دراسات فى الأدب العربى: لجرونباوم.
٢٥ – ديوان الخرنق – تحقيق: الدكتور/ حسين نصار – مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٦٩م.

■■■